يُغذّي القلب ويغرس الإحسان، ولا صلاح إلا في الدين الذي ارتضاه خالق البشر ﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

لا أمل في صلاح العالم إلا بالإسلام وبمنهج الإسلام وفق تصور الإسلام.

✍ إننا على يقين جازم أن المسلمين في الغد لن يستجيبوا إلا لنداء الإسلام، ولن يصلحوا إلا به، ولن يتفاعلوا إلا معه.. سيعلو نداء الإسلام ويرتفع ويقوى ويشتد، ألا بارك اللَّه في الحناجر المؤمنة التي تطلق نداء الإسلام، والأصوات المباركة التي ترتفع بنداء الإسلام، والآذان الواعية التي تسمع نداء الإسلام، والقلوب الحيّة التي تتفاعل بنداء الإيمان، والحياة الكريمة التي تزكو وتطهر بنداء الإسلام، وصدق اللَّه العظيم إذ يقول: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

◻ ولله در القائل:

أنا مسلم أنا مسلم ... هذا نشيدي الملهم
من أعمق الأعماق ... أبعث لحنه يترنَّمُ
روحي تردّده وقلبي ... والجوارح.. والدم
شوقًا وتحنانًا ... لأمجادٍ لنا تتكلّمُ
أنا مسلم أنا مسلم ... بالرغم ممن يحقدون
أنا ها هنا بشريعتي ... في موكب الحق المبين
أنا لست رجعيًّا ... ولكن قائد المتقدمين
وزعيم كل حضارة ... جاءت على مرّ السنين

شيّدت للمدينة العظمى ... قلاعًا.. وحصون
أيام كان الغرب ... يخبط في دياجير القرون
حرّرته بالفتح من ... أيدي الطغاة الظالمين
ورعيته بالعلم حتى ... فاق كل العالمين
لكنه لم يرع حق ... أبوّتي شأن الخؤون
ولعلّ في الحمراء ... والقدس دليل المسلمين

* * *

أنا مسلم.. أنا مسلم ... في شدّتي قبل الرخاءْ
بعقيدتي الغرّاء أسمو ... سامقًا نحو السماءْ
دنياي روحي كل شيء ... في الحياة لها فداء
إن قال حي على الجهاد ... تجبه صيحات الدماء
لو كنت أشلاءً ممزقة ... بأنحاء الفضاء
لم آل جهدًا في كفاح ... مُناصِب الدين العداء[1]

* * *

ولله در القائل:

الصين لنا والعُرب لنا ... والهند لنا والكل لنا
أضحى الإسلام لنا دينا ... وجميع الكون لنا وطنا
توحيد اللّه لنا نور ... أعددنا الروح له سكنا
الكون يزول ولا تمحى ... في الدهر صحائف سؤددنا

(١) لهاشم الرفاعي.

بُنيت في الأرض معابدنا ... والبيت الأول كعبتنا
هو أول بيت نحفظه ... بحياة الروح ويحفظنا
في ظل الدين تربيْنا ... وبنيْنا العزّ لدولتنا
عَلم الإسلام على الأيّام ... شعار المجد لملتنا
وأذان المسلم كان له ... في الغرب صدى من همتنا
قولوا لسماء الكون ... لقد طاولنا النجم برفعتنا
يا دهر أما جرّبت على ... نيران الشدة عزمتنا
طوفان الباطل لم يغرق ... في الخوف سفينة قوتنا
يا ظلّ حدائق أندلس ... أنسيت مغاني عشرتنا
وعلى أغصانك أوكار ... عمرت بطلائع نشأتنا
يا دجلة هل سجّلت على ... شطّيْك مآثر عزّتنا
أمواجك تروي للدنيا ... وتعيد جوانب سيرتنا

أخي يا بن الإسلام:

انشر ضياء الإسلام.. وافخر بأنك مسلم.. فشرف لك أن تحمل هذه الراية.. لا نتدسس بإسلامنا.. ليس فيه ما يشين.. بل فيه عزك كل العزّ.

واسمع هذا النداء:

انشر ضياءك مشرقًا متألّقًا ... متلألئ القسمات حُلو المبسم
وابعث نداءك عاليًا واقرع به ... سمع الغفاة الغافلين النّوَّم
فنداؤك العلويُّ يخلق هزّةً ... بمسامع الصخر الأصمّ الأبكم
صوت من البطحاء علوي الصدى ... هزّ الوجود فيا عروش تحطّمي

وتطلَّعي يا أرضُ للنور الذي ... دَحَر الظلام وللضياء تبسّمي
هو دعوة التوحيد رنّ أذانها ... يدعو البريـــة باسم رب أكرمِ
يا منْ حملتَ النورَ تفتحُ أعينًا ... عُمْيًا وتهدي للصراط الأقومِ
أتهون أمَّتُك التي أوليتَها ... نعم الهداية من كريمٍ منعم
أتضلّ والقرآن مشعل دربها ... يهدي خطاها في الكفاح المظلِم
لا لن تَذِلَّ فهذه راياتها ... رغْم العواصف والدجى لم تحجم
ظمأى يحرِّكها نداؤك كلما ... عصف الطغاة بركبها المتقدِّم
أنا مؤمن حطّمتُ آلهة الهوى ... وبنائي الجبّار لم يتحطَّمِ
سأظلُّ في درب العُلا مستمسكًا ... بالعروة الوثقى التي لم تفصم
يا أمة هبط الزمان بمجدها ... ذلاً وكانت في المقام الأعظم
لا عزّ إلا بالكتاب يقودنا ... أكرم بأحسن قائدٍ ومعلمِ

❑ يا بن الإسلام، الإسلام خير لك من الدنيا وما فيها.. قال تعالى: ﴿ **قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ** ﴾.

❑ قال أبو سعيد: فضل اللَّه: القرآن، ورحمته: الإسلام.

❑ يا بن الإسلام.. طالت غربتك عن دينك فأسمع الدنيا نداءك.

سنطب العالم بدوائنا..
عائدٌ أنا من حيث أتيت
عائدٌ أنا لمسجدي
عائد إلى الصلاةِ والركوع والسجود
عائد إلى الطريقِ خلف أحمد الرسول
أُطلق الخطى حزينةً في إثره
عرفت قصة الطريق كلها..

وعائد أنا برغمها
كالفجر . . كالصباح . . مغدِق وباسمُ
والخطو كالرياح . . عاصف وعارمُ
لا بديل للخلود
لا بديل للجنان
لا بديل
لا بديل غير ذلّةِ الرُّغام
لا بديل غير خدعه السراب
لا بديل غير وهدةِ الظلام
لا بديل للإقدام . . غير سحقة الأقدام

* * *

عرفت قصة الطريق كلها
الموت أول المطاف
لكن خضرة الطريق لا يصيبها الجفاف
قادم . . وقادم . . وقادم
إشراقة مضيئة تجيء في الختـــام
تقدّموا . . تقدّموا . . تقدّموا
فبعد لحظة من المسير
ينتهي الزحـــام
ينتهي الزحـــام .

يقول الأستاذ أبو الحسن الندوي:

«القرآن وسيرة محمد ﷺ قوتان عظيمتان تستطيعان أن تشعلا في العالم الإسلامي نار الحماسة والإيمان، وتحدثا في كل وقت ثورة عظيمة على العصر الجاهلي، وتجعلا من أمة مستسلمة منخذلة ناعسة، أمة فتية ملتهبة حماسة وغيرة وحنقًا على الجاهلية، وسخطًا على النظم الخائرة. إن علة العلل في العالم الإسلامي اليوم هي الرضا بالحياة الدنيا والاطمئنان بها، والارتياح إلى الأوضاع الفاسدة، والتبذير الزائد في الحياة، فلا يقلقه فساد، ولا يزعجه انحراف، ولا يهيجه منكر، ولا يهمه غير مسائل الطعام واللباس.

ولكن بتأثير القرآن والسيرة النبوية - إن وجدا إلى القلب سبيلاً - يحدث صراع بين الإيمان والنفاق، واليقين والشك، بين المنافع العاجلة والدار الآخرة، وبين راحة الجسم ونعيم القلب، وبين حياة البطولة وموت الشهادة. صراع أحدثه كل نبي في وقته، ولا يصلح العالم إلا به، حينئذ يقوم في كل ناحية من نواحي العالم الإسلامي، في كل أسرة إسلامية ﴿فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾ [الكهف: ١٣ - ١٤].

هنالك تتجدّد ذكرى بلال وعمار وخباب، وصهيب ومصعب بن عمير وعثمان بن مظعون، وأنس بن النضر.

وهنالك تفوح روائح الجنة، وتهبّ نفحات القرن الأول، ويولد للإسلام عالم جديد لا يشبه العالم القديم في شيء».

إن الإسلام عقيدة استعلاء، من أخص خصائصها أنها تبعث في

روح المؤمن بها إحساس العزة من غير كبْر، وروح الثقة من غير اغترار، وشعور الاطمئنان من غير تواكل، وأنها تشعر المسلمين بالتبعة الإنسانية الملقاة على كواهلهم، تبعة الوصاية على هذه البشرية في مشارق الأرض ومغاربها، وتبعة القيادة في هذه الأرض للقطعان الضالة، وهدايتها إلى الدين القيم، والطريق السويّ، وإخراجها من الظلمات إلى النور.

ما أحوج المسلمين اليوم إلى من يرد عليهم إيمانهم بأنفسهم، وثقتهم بماضيهم ورجاءهم في مستقبلهم.. ما أحوجهم لمن يردّ عليهم إيمانهم بهذا الدين الذي يحملون اسمه ويجهلون كنهه.. ما أحوجهم إلى من يصيح فيهم «واإسلاماه».

نحن قومٌ أعزّنا اللَّه بالإسلام دينًا ومنهجًا وسبيلاً.

* * *

مبشرات
من الواقع
إنها الصحوة.. إنها الصحوة

مبشرات من الواقع

واقعنا قد غربل أهليه أشد غربلة، فسفسف أخلاقهم، وسفّه أحلامهم، وخبّث ضمائرهم ـ هذا الواقع المرّ هو السنون الخدّاعة التي حذّرنا منها رسول اللّه ﷺ حين قال: «**إنها ستأتي على الناس سُنون خدّاعة، يُصَدَّق فيها الكاذب، ويكذّب فيها الصادق، ويُؤتمن فيها الخائن، ويُخَوَّن فيها الأمين، وينطق فيها الرُّوَيْبِضة**». قيل: وما الرويبضة؟ قال: «**السفيه يتكلم في أمر العامة**»[1].

ويعلو التحوتُ الوعول.. كما قال ابن مسعود ـ رضي اللّه عنه ـ: «فُسُولُ الرجال وأهل البيوت الغامضة يُرْفعون فوق صالحيهم. والوعول أهل البيوت الصالحة»[2].

✍ وأيامنا وواقعنا من أحط أدوار التاريخ، انحدرت فيه الأمة وانحطت، وقد زادتها الأيام سرعة في هبوطها وشدة في إسفافها، نسي فيها المرء خالقه فنسي نفسه ومصيره، وفقد رشده.

✍ «ورضي عامة المسلمين أن يكونوا ساقة عسكر الجاهلية بدل أن يكونوا قادة الجيش الإسلامي، وسرت فيهم الأخلاق الجاهلية ومبادئ الفلسفة الأوربية سريان الماء في عروق الشجر، فترى المادية الغربية في البلاد الإسلامية في كثير من مظاهرها وآثارها، وترى تهافتًا على

---

(١) **إسناده جيد**: رواه أحمد، وقال ابن كثير في «النهاية في الفتن والملاحم» (١/ ١٨١): هذا إسناد جيد ولم يخرّجوه من هذا الوجه. وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده حسن، ومتنه صحيح.

(٢) «أشراط الساعة» ليوسف الوابل ص(١٨٠) ـ دار ابن الجوزي.

الشهوات، ونـهمًا للحياة، نَهَـمُ من لا يؤمن بالآخرة، ولا يوقـن بحياة بعد هذه الحيـاة، ولا يدخر من طيباتهـا شيئًا، وترى تنافسًـا في أسباب الجاه والفخار وتكالبًا عليها فعل من يغلو في تقويم هذه الحياة وأسبابها، وترى إيثارًا للمصالح والمنافع الشخصية على المبادئ والأخلاق، شأن من لا يؤمن بنبـي ولا بكتاب، ولا يرجو معادًا، ولا يخشـى حسابًا، وترى حبًّـا للحياة وكراهة للموت دأب من يَعـدّ الحياة رأس بضاعته، ومنتهى أمله ومبلغ علمه، وترى افتتانًـا بالزخارف والمظاهر الجوفاء كالأمم المادية التي لـيس عندهـا أخلاق ولا حقيـقة حية، وتـرى خضوعًا لـلإنسان، واستكانـة للملوك والأمراء ورجال الحكـومة والمناصب وتقديـسهم شأن الأمم الوثنية وعبادة الأصنام»[1] .

✍ ران على جوهـر الإسلام ـ وهو التوحيـد ـ الكثير من ظـلمات الشرك وخرافـات المشعوذين الدجالين وشـرك العوام من النذر لغـير اللَّه والاستغاثـة بغير اللَّه، وإنزال الحاجـات بغير اللَّه من الأمـوات وتقديس القبـور والطواف حولهـا، وترك الخواص الذيـن يكادون يعبـدون قصور الأحياء، وغلب منطق أرسطو وعلم الـكلام الذي هو الجهل على المنهج القرآني. . وظهرت الفرق الضالة من قاديانية وبهائية مرقت عن الإسلام، وظهر فكر التكفير وغلب على الناس الإرجاء.

✍ وضيّع النـاس الصلوات، واتبعـوا الشهوات، وأفسدهـم الترف وحب الحياة وكراهـية الموت، وران على الناس سوء العـمل، وأفسدهم طول الأمل، وغـدا أكثر النـاس يقولون مـا لا يفعلـون، ويراءون بما لا

(١) «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» لأبي الحسن الندوي ص(٢٨٤).

يعملون، ونـدُر الإخلاص وأهله، وذهب الخشوع وأصحـابه، وتحجرت المدامع، وندر الخاشع، وفُقد التوكل والـتبتل والشوق إلى الحب، وجعل الهم همًّا واحدًا.

وظهـر دجل التـصوف الفلـسفي وأهـل الاتحاد وأصحـاب وحدة الوجود، أو دجل الـرافضين والطبّالين، ومـواجيد الكاذبين الـبطالين.. ليس فـيهم من يـساوي شعث نعـل الجنيد ولا سـهل بن عبـد اللَّه ولا إبراهيم بن أدهم.. وإنما تجد المعالـف ومن يأكل أكل الحمار ويرقص في القوم حتى يقـع، وتقديس يصل إلى خلع نعوت الألوهـية على المخلوق الذي لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا.

وضاعت الأخـلاق وهي قوام دين اللَّه بـعد التوحيـد الخالص، وفسدت التربية وأين هي التزكية أو الـتصفية أو التحلي بمكارم الأخلاق؟ بل استبدل الناس بالإيثار أثرة وأنانيـة، وبالتواضع كبرًا، وبالحلم والعفو سرعة بطـش، وبالرحمة قسوة قـلب، وتفشى الكذب والـدجل والرياء والنفاق، وظهر فـي الأمة المارقون المستهزئون بالذات الإلـهية وبالرسول ﷺ، وظهر الطاعنـون في جبال الأمة من الصحابة والـتابعين، وظهر عملاء الغـرب ومن ينعق ويسير عـلى نهجه ودربه، وظهـرت المسكرات والمخدرات، وأصبح الشبـاب إمّعة، وظهر في شباب الأمة وفتـياتها من يعبـدون الشيطان مـن أبناء المترفين، وظـهر الإدمان وسط الشـباب، بل وأصبح ظاهـرة خطيرة، مثله تمامًـا مثل الزواج العرفي الذي تـفشى بين طالبات الجامعات، بل واللَّه في المراحل الثانوية، وقل الحياء بل وذهب، وكثر التـبرج، بل والرقص، والمجون والـغناء، وأصبح أهل الـغناء من أغنياء الناس، وممن يشار إليهم بالـبنان، وأصبحوا من عِلية القوم، وعمّ

الربا وحورب اللَّه ورسوله، وخار اقتصاد البلد، وظهر جشع المترفين، وزاد فقر اليتامى والفقراء والمساكين، وكثر أهل الخنا والفسوق، واستشْرَت الفاحشة، وظهرت المجلات الإباحية وكثرت ممن يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، ممن لا يرقبون في مؤمن ولا مؤمنة إلاً ولا ذمة، وما مرّت عليهم تقوى اللَّه يومًا في النشء الذي هو عماد المستقبل، وعُطّلت عند الكثير من الناس فريضة الزكاة، وظهرت النزعة العقلية، وتفضيل العقل على النقل، وتكلّم في دين اللَّه الرُّوَيْبضة.

✍ وضعف العقل الإسلامي فلم يعد يفكّر ويبتكر ولم يُضف الجديد إلى الحضارة، وطغى الجمود والتحجر على جنبات الحياة، وغاب الابتكار في الصناعة والإنتاج.

✍ واستشْرَى الترف المدمِّر في بعض طبقات الأمة، وانقلبت القيم الاجتماعية بظهور الغنى بغير جهد، وظهر لصوص الانفتاح وغيرهم.

✍ وكثر الظلم وضجّت إلى اللَّه تشكو حناجر المظلومين، وتطلّعت الأعين الدامعة تشكو إلى ربها ظلم المخلوقين، وطغيان المتجبرين. واستحرّ القتل في الأمة، وفاقت سجون بعض الحكام سجن الباستيل، واقتيد الناس إلى غياهب السجون بغياب حكم اللَّه وشرع اللَّه، وخفت صوت الحرية، وأصبح المرء غير آمن على نفسه ولا على سربه.. وضاعت الشورى، ولم يُعد يُسمع رأي لأهل الحِلِّ والعقد، وظهر علماء سوء آثروا الدنيا على الآخرة.. زلّوا في الطين، وأخلدوا إلى الأرض، بل باعوا آخرتهم بدنيا غيرهم، وكُمّمت الأصوات التي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر.

✍ واستلب اليهود أغلى ديار المسلمين «بيت المقدس» وما حوله،

وأنزلوا المصائب الجمّة بالشيوخ والنساء والأطفال، وطُرد المسلمون من ديارهم.. وأذلّ اليهود ـ وما بلغ عددهم ٥ مليون نسمة ـ ملياراً وربع نسمة من المسلمين، وخفت صوت الجهاد، واستعمر الكفرة ديار المسلمين وقطّعوها أشتاتًا، وما أمر تيمور الشرقية في أندونسيا من الناس ببعيد.. فُرض التضييق بدعوى الإرهاب على بعض بلدان المسلمين من قبل هيئة الأمم المتحدة اللصة المسبّحة بحمد أمريكا، ودمروا العراق تدميرًا، وقتلوا بمنع الطعام والتجويع أكثر من مليون طفل عراقي، وتطلعوا إلى نفط المسلمين، واغتصب الهندوس عبّاد البقر نساء المسلمين في كشمير، واحتلوها وقتلوا المسلمين، وهدموا مساجدهم، والمسجد البابري خير شاهد.

✍ وفي البوسنة والهرسك وكوسوفا فعلوا بالمسلمين ما لا تفعله الوحوش الضواري، وما لم يمرّ على أذهان البشر من قبل، وفاقوا التتار والمغول وغيرهم، وأجريت الدماء أنهار، ورحّلوا أطفال المسلمين الذين فقدوا ذويهم لتهويدهم وتنصيرهم وهدموا البيوت والقباب والمآذن، واغتصبوا النساء أمام أزواجهن، ولعبوا بجماجم المسلمين مثل الكرة.. بل واغتصبوا بعض النساء بعد موتهن، وفعل الحقد الصليبي واليهودي والإلحادي بهذه الأمة الأفاعيل.

قوافل تمضي بين أفواج رُضَّعٍ ... وأحزان ثكلى أو تباريح أيِّمِ
وبين صبايا يا لذلّ دموعها ... وأفواج أطفال وأمواج يُتَّمِ
قوافل تمضي وهي تسحب خطوها ... ذليلاً على شَوْكٍ مُدَمٍّ وموضِمِ[1]

(١) أي: مؤلم.

تكاد عيون الطفل تسأل مَن أنا ... إلى أين أمضي يا فيافي تكلّمي
أتحملني دور النصارى وبيعة ... وساحات شرك أو منازل سُوَّمِ
لتُنزَع مني فطرة وطهارةٌ ... ويُغرسَ بي شرك وفتنة مأثم

آه وألف آه على هذا الواقع المرّ:

أين يا قلب أسكب الدمع أنّى ... طُفتُ ألقى مذلةً وخنوعًا

ولله در الشاعر:

رحل العمر والليالي اكتئابٌ ... معتمٌ لم يُشر إليه وميض
أمتي هذه المصائب زنْدٌ ... يُشعل العزمَ حين يغفو النهوض

من الآلام تبزغ الآمال، والرجال تصنعهم المحن، وابتسامة الفجر الوليد تبزغ من أشد ظلمة في الدياجي.

ومثلما ربّي موسى في حجر فرعون على الرغم منه ـ ظهرت الصحوة على الرغم من الصليبيين واليهود والملاحدة.. كانوا السبب في ظهورها بشدة وطأتهم وظلمهم الشديد للأحناف، فسرت الصحوة في ضمير الأمة، كما تسري المياة العذبة في الرمال العطشى.

وأرى الصحوة تسري
بكتاب اللّه تسري
عبر أصقاع الشعوب المسلمة
تلد الأنوار من قلب العصور المظلمة

ولنا وقفة بل وقفات مع الصحوة كمبشر عظيم جميل لفجرنا الآتي من واقعنا المر ﴿**وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾.

الأمة المسلمة لا تموت، ومن طبيعتها ألا يستمر نومها وغيبتها

عن الوعي أزمانًا تتطاول، ومن طبيعة الإسلام أن يوقظ فيها عوامل التنبه، وبواعث التحرك، وسيرة الرسول ﷺ بين يديها تضيء مصباح التأسي، وتوقد جذوة الحماس في القلوب.

✍ وهذه الصحوة أو اليقظة هي صحوة علمية، أسُّها عقيدة سلفية وعودة لينبوع الكتاب والسنة بفهم الصحابة والتابعين، هي صحوة عاطفةٍ وقلب، وصحوة إرادةٍ وعزم، وصحوة عملٍ ودعوة، فهي صحوة شاملة.

* **هي صحوة علمية:** تدعو إلى العلم قبل العمل، وأن يكون الداعية على بصيرة، تدعو إلى الربانية وتدرج الناس في طلب العلوم الشرعية من المجمل إلى المفصل.

✍ تدعو إلى التصفية والتربية، تصفية عقائد المسلمين مما علق بها من بدع وضلالات، وتصفية كتب التفاسير من الاسرائيليات، وتصفية كتب الحديث والتاريخ من الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي يعيش لنبذها الجهابذة من الرجال. ثم تربية الأمة على هذا النبع المصفّى.

ترجمت الكتب الإسلامية إلى اللغات العالمية، ولم يعد خافيًا على أحد انتشار الكتاب الإسلامي، وأنه صاحب الرقم القياسي في سوق التوزيع في المعارض الدولية رغم العقبات الكثيرة وعوائق النشر وقيوده.

* **هي صحوة قلوب خاشعة،** وأعين دامعة، وشفاه ذَبِلة، وتضرع واستغفار ينير الدياجي والأسحار.

رأى الناس ورأينا الذين ﴿ **تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ** ﴾ [السجدة: ١٦].

قبل ظهور هذه اليقظة في السبعينات على أيدي الشباب الذين عاهدوا ربهم على المضي قدمًا على الصراط المستقيم ليعود مجد الإسلام.. ما كان الناس يعرفون الاعتكاف في ليالي العشر من رمضان.. وإذا بالناس يرون الشباب الطاهر، وقلوبهم الوجلة، وجلودهم المقشعرة حين تتلى عليهم آيات ربهم فيخرون سجدًا وبُكيًّا، ولو تكلمت المحاريب وجدران المساجد لأخبرت بخبر القانتين العجيب وخيرهم العجيب.

وسلوا ساحات الحرم النبوي والحرم المكي عن أنهار الدموع التي يذرفها شباب الصحوة عند الحَجَر وفي الروضة، وعند الصفا والمروة هل ينكر هذا إلا جاحد، واللَّه لكأن الدموع خُلقت لهم.. ولكأن الناس ما عرفوا البكاء عند سماع القرآن إلا من نحيبهم.

بكى الباكون للرحمن ليلاً ... وباتوا دمعهم لا يسأمونا
بقاع الأرض من شوق إليهم ... تحنّ متى عليها يسجدونا

* هي صحوة مشاعر:

حماسة متّقدة وغَيرة على الحرمات، صرخات من قلوب تجأر، توقظ النائمين، وتحذّر الغافلين، وترهب الزنادقة المجرمين إذا ما سخروا من عقيدة المسلمين.

يعلو زئيرهم وهم يرون شريعتهم الغرّاء معطلة، وبرود مَنْ حولهم القاتل تجاه مصائب المسلمين ونزيف الدم المسلم في كل مكان، والمعروف الضائع، والمنكر الشائع، وغربة المسلم في وطنه، واضطهاده بين أهله.

ولولا هذه الحماسة لتنمّر العلمانيون، ولعلا فحيح الزنادقة، وعواء الملاحدة، ولكن هذا الزئير المؤمن كان لهم بالمرصاد يردهم إلى جحورهم يقول لكل مارق: «اخسأ فلن تعدو قدرك».

أوقدت الصحوة مشاعل الحماسة لتطبيق شرع اللّه في الأرض وتبصير الناس بمآسي القوانين الوضعية التي وضعها مستعمر كافر أيام حكمه وسلطانه على المسلمين.. ينادي مناديهم:

عجّت فروج الناس ثم حقوقهم ... للّه بالبُكرات والآصال
كم تُستباح بكل شرع باطل ... لا يرتضيه ربنا المتعالي

ويهدر حاديهم:

سيأخذ ثأر اللّه أنصار دينه ... فللّه أوس آخرون وخزرج

* وهي صحوة التزام وتربية:

صحوة عمل بالإسلام.. يمتزج العلم فيها بالعمل، فالعلم يهتف بالعمل فإن أجابه حلّ وإلا ارتحل.. شباب هذه الصحوة بالخير موصوفين وليسو وصّافين فحسب، يقول واعظهم: «إن الواو والراء والدال لا تشمّ منها رائحة الورد»، ويقول معلمهم: «إن شيخك مَن حدّثك بلحْظه قبل أن يحدّثك بلفظه، ومن لا ينتفع بصمت العالم لا ينتفع بعلمه»، يخشى شبابهم النفاق والرياء وهم يبيتون الدياجي سجدًا في محاريبهم، وغيرهم يضج منهم الليل، بدت أمام الناس سوءتهم، يصدق فيهم قول القائل:

يا أيها المتناثرون على رمال الوهم
.. يا حطبًا بلا نار
ويا موتى بلا حفرٍ أفيقوا

مزّقوا الأسمال والأغلال.. وارتفعوا إلى أفق المصاحف
يا أيها المُتمَرْكسون وأيها المُتأمرِكون
.. وأيها الكتل الذين بلا ملامح
يا أيها الناس الفضائح
يا من تدوِّي فيهم الساحات والقاعات
ينفجرون في ليل المسارح

عرف عوام المسلمين عباد الرحمن وعباد الشيطان، ورأوا النور على وجوه القانتين الصابرين والصائمين العابدين المتهجدين.. خلوا بربهم في دجى الليل فألبسهم من نوره.

✍ للَّه درهم فاح عبيرهم وانتشر طيبهم وأثّر إخلاصهم في جلمود الصخر؛ فعاد إلى اللَّه الشاردون ممن ظن الناس أنهم لا يعودون أبدًا.. وكم رأينا من ممثلات بل وراقصات عُدْنَ إلى اللَّه.. وارتدين النقاب، وذرفن دموعهن غزيرات على محراب التوبة.. لو لم يكن للصحوة إلا هذا لكفاها.. وعلا نقيق الضفادع، والتاثت عقول المفسدين في الأرض: إن الممثلة فلانة سترتدي الحجاب هذه ردة احذروا الإرهاب الذي سيحطم الفن..

ستبقى في حلوقهمُ زجاجا ... وتسطع في ظلامهمُ شهابا
تعالج حقدهم بالحبِّ حتى ... ترى الأمطار تنسكب انسكابا
تُقَلِّمُ من خبيث القول ظُفرا ... وتقطع من لئيم الفعل نابا
إذا زرعوا الجفاء زرعت حُبًّا ... وإن غدروا بسطت لهم جنابا
تعيب عليهمُ جُبنا وجهلاً ... وحق الجاهلية أن تُعابا
وتغرس فيهمُ الإسلام غرسا ... فقد بلغت شرورهم النصابا

* **صحوة عمل للإسلام:** تحمل عبء الدعوة إلى اللَّه عز وجل ليل نهار، فرادى وجماعات، في السهل والقفار، وفي صبر ومصابرة، واللَّه لقد رأينا المنتقبات وأصحاب اللحى يملئون الجبال بعد أن كانوا قطّاع طرق وسحرة ودجالين.. رأيناهم وقد التزموا وأصبحوا من الدعاة إلى اللَّه عز وجل.

وما مرسى مطروح وصحاريها من الناس ببعيد.. سل كل فرد في هذه المدينة الطيبة عن حال الناس قبل عام ١٩٧٥م وحالهم بعد ذلك.. وكيف سرت الدعوة إلى كل نجع.. وسل كنائس أوربا عمن اشتراها ليجعلها مساجد.. سل الذين يسلمون كل يوم مَن وراء إسلامهم؟ في كل ساعة يوميًّا يسلم أربعة.. يسلم يوميًّا مائة، عدد المسلمين في الجيش الأمريكي ٢٢ ألف.

✍ لقد أثرت هذه الصحوة في رجالات العالم فيسلم مراد هوفمان الألماني وهو من هو عند أهل الغرب؟! ويثني عليها الخير أمراء العالم وتكفي محاضرة الأمير تشارلز ولي عهد بريطانيا التي ألقاها في قاعة المؤتمرات بوزارة الخارجية البريطانية في ديسمبر عام ١٩٩٦، وقال فيها: «إن الثقافة الإسلامية في شكلها التراثي جاهدت للحفاظ على هذه الرؤية الروحية المتكاملة للعالم بطريقة لم نجدها نحن خلال الأجيال الأخيرة في الغرب موائمة للتطبيق. وهناك الكثير مما يمكن أن نتعلمه من رؤية العالم الإسلامي في هذا المضمار».

وقال أيضًا: «إننا نحن أبناء الغرب ـ نحتاج إلى معلمين مسلمين ليعلمونا كيف نتعلم بقلوبنا كما نتعلم بعقولنا. وإن اقتراب الألف الثالثة قد يكون الحافز المثالي الذي يدفعنا لاستكشاف هذه الصلات وتحفيزها»[1].

---

(١) جريدة الشرق الأوسط ـ العدد ٦٥٩٢ بتاريخ ١٥/١٢/١٩٩٦.

✍ لولا فضل اللّه ثم هذه الصحوة ما انتشر الإسلام في تركيا العلمانية، وما روئي النقاب والحجاب في صقيع سيبيريا وجبال القوقاز. . وهل كان أحد يجول بخاطره أن يرى النقاب في البوسنة، وطوائف الشباب القانتين المتبتلين لربهم يحيون الليل في مساجد أوربا؟

✍ رأينا ورأى الناس حرص شباب الصحوة على إحياء السنن التي كادت أن تندثر كالاعتكاف في رمضان، وصلاة العيدين في الخلاء، وخروج النساء إلى صلاة العيدين.

✍ بل ورأينا الصحوة تدخل إلى بيوت علية القوم من سكان أرقى المناطق تحضّرًا، وبيوت أساتذة الجامعات وعمداء الكليات. . بل وفي الجامعة الأمريكية بالقاهرة وهذه ظاهرة ملحوظة.

✍ وانتشرت الدعوة الإسلامية في النقابات والعمل الجماعي، ورأى الناس الرحمة مجسدة في هذا الشباب الذي يجمع الصدقات، ويطوف على المستشفيات يعين مرضى الجذام والفشل الكلوي، ومن أصيبوا في الزلازل والسيول فما ينكر هذا النور إلا أعمى.

والحق أبلج لو يبغون رؤيته ... هيهات يُبصر من في ناظريه عمى
وصرخة الحق تاباها مسامعهم ... من يسمع الحق منهم يشتكي الصمما

✍ ورأينا رجالات هذه الصحوة ينشرون الدعوة حتى بين القساوسة ولا ينسى الناس ما فعل ديدات بجيمي سيوجارات، وكيف أسلم ثلاثة عشر قسيسًا سودانيًّا بعد مناظرة أمام الشيخ محمد جميل غازي واللواء أحمد عبد الوهاب، والشيخ إبراهيم خليل - والذي كان من أشهر القساوسة في مصر وأسلم واشترك في هذه المناظرة. .

وتمتد الصحوة إلى الأرض المحتلة غزة والضفة الغربية وسائر أرجاء فلسطين، كما تمتد الصحوة إلى أندونسيا وجزر الفلبين وكشمير المحتلة وجنوب أفريقيا والجزائر وغيرها.

نعم هناك أخطاء، ونحن لا نقدس الرجال ولا نتعامى عن الأخطاء.. لا نبررها بل ننبه عليها ونتلافاها ولكنْ «ليس من قصد الحق فأخطأه كمن تعمّد قصد الباطل».

وظلم بيّن أن تمر بطريق طويل ملؤه الزهور والرياحين على الجانبين وفي الطريق صندوق قمامة واحد فيقال لك: ما رأيت في هذا الطريق الطويل؟ فتقول: لم أر إلا القمامة فقط..

هؤلاء الذين يتعامَوْن عن الزهر والرياحين غلب عليهم طبعهم فهم مثل الخنفساء إذا وضعتها في حقل الورد تتماوت، فإذا وُضِعت في الروث والسبخ تنتفش.

خفافيش أعشاها النهار بضوئه ولاءمها قطع من الليل باديا

* * *

* صحوة شباب مثقف:

والشباب هم عماد الصحوة وجنود الدعوة الربانية، فهم أنقى قلوبًا، وأرقّ عاطفة، وأقوى عزيمة.

وشباب هذه الصحوة مثالي، قمم ترنو إليها الأبصار، وتشرئب نحوها الأعناق في الإيمان، والخشوع، والتبتل، والصبر، والفداء.

وهو شباب مثقف نال أرقى الدرجات العلمية في الكليات والجامعات، كوادر متخصصة في كافة مجالات الحياة.

واللَّه لو وجد هذا الشباب من يحتضنه في بلاده، ويوفّر له الحرية والأمن لأتى بالأعاجيب فعقولهم نيّرة وجوارحهم نيرّة بتقوى اللَّه عز وجل.. يريد هذا الشباب أن يجمع بين الأصالة والمعاصرة.. شباب يعلم شمولية الإسلام، وأنه دين ودولة مصحف وسيف.

شباب يقدم أطروحات علمية تثبت أصالة الاقتصاد الإسلامي وتوازنه وتفوقه.

* وفي الصحوة مجال رحب للقانتات:

صحوة حفظت للمرأة حياءها وعفتها وطهارتها بحجابها ونقابها.. لا تغفل دور المرأة كملكة في مملكتها، وأنها نصف المجتمع، وأنها تلد للمجتمع نصفه الآخر، صحوة تقدر حديث رسول اللَّه ﷺ جيداً: «**إنما النساء شقائق الرجال**»[1].

تريد من المرأة المسلمة أن تسير على درب آسية وعائشة وخديجة وفاطمة ونسيبة والخنساء ورابعة وخولة.. صحوة تدعو كل شاردة متبرجة إلى أن تعرف الطريق.

يا درّة حُفظت با لأمس غالية ... واليوم يرجونها للهو واللعب
هل يستوي مَن رسولُ اللَّه قائده ... دومًا وآخر هاديه أبو لهب
وأين من كانت الزهراء أسوتها ... ممن تَقَفَّتْ خُطا حمّالة الحطب؟!

وإن بعد عن هذا الطريق الطاهر المتبرجات بالرغم من وعظهن

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، والبيهقي في «سننه» عن عائشة، والبزار، والدارمي، وأبو عوانة عن أنس، وصححه الألباني في «تخريج المشكاة» رقم (٤٤١)، و«صحيح الجامع» رقم (٢٣٢٩).

بالحكمة والموعظة الحسنة، فإن اللَّه يفتح قلوب من يعلم الخير منهن من بنات الأعاجم.. واللَّه لقد رأينا من حزن أعلى الدرجات العلمية «الدكتوراة» في التاريخ الإسلامي عن «الحروب الصليبية وصلاح الدين» وهي أمريكية الأصل منتقبة يفوق التزامها آلاف من بنات العرب.. وعندها غيرة على دينها لا يكاد يصدقها عقل.

* وهذه الصحوة عالمية:

سل عنها ضفاف الراين والسين وجبال الصين وجزر الفلبين وثلوج سيبيريا وأدغال أفريقيا وحدائق اليابان.. سلوا عنها أوربا وأمريكا وكندا ترى أثر الصحوة واضحًا.. يسود الوعي الإسلامي ويمتد، ويقود الإسلام الركب من جديد.. هذه الصحوة آخذة في النمو والصعود، وسيكون لها ما بعدها، وهي جديرة أن تتعلم من التجارب وتستفيد من الأخطاء ودروس الأيام.

إن من الظلم للحقائق أن نغفل كل ما يقوم به جيل الصحوة من علم وبذل وعطاء، ولا نذكر إلا جلاليب الرجال، ونقب النساء!

فهلاّ قال: إن هذه من علامات التميز والتحدي الحضاري؟

إن التيار الإسلامي هو التيار الوحيد الأصيل المتجاوب مع فطرة الأمة ووعيها وتاريخها، والذين ينظرون إلى الصحوة كأنها ظاهرة شاذة، أو خارقة لقوانين الكون وسنن الاجتماع البشري فهم غفّل نوّم يعلمون ظاهرًا وقشورًا.. وليس لهم معرفة باللباب..

وكأن الأصل في الأمة المسلمة عندهم.. أن تنام فلا تصحو، وأن تفقد الوعي فلا تفيق، وإذا أفاقت وصحت، وجب أن يكون صحوها وإفاقتها بغير الإسلام، ولغير الإسلام!.

✍ ولعمري ما يقول هذا إلا مبطل.. فالأصل في الأمة أن تصحو بالإسلام وللإسلام، وطبيعة الإسلام تأبى إلا أن توقظها من سبات وتحييها من موات.

✍ أما أن يقاوم هذا التيار بالحديد والنار فهذي شريعة الغاب.

أحـــرامٌ على بلابـــله الـــدو ... حُ، حلالٌ للطير من كل جنس؟!
كـل دار أحـــق بـالأهـــل إلا ... في خبيث من المذاهب رجس

* هذه اليقظة ليست مقطوعة النسب، وهي امتداد لحركات التجديد:

إن الصحوة المعاصرة لم تولد من فراغ، وإنما هي امتداد لحركات التجديد الإسلامية في عصرنا الحالي، يذكر التاريخ منهم مجدد الجزيرة العربية، وشيخ الدعوة السلفية شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، وهو امتداد لمدرسة شيخ الإسلام ابن تيمية.

سيذكر التاريخ رجالاً صالحين أثروا في حاضر أمتنا: عبد الحميد بن باديس، والسنوسي، ومحمد رشيد رضا ـ بعيدًا عن أخطاء المدرسة العقلية ـ والبنا، والمودودي.

* الحر من يرعى وداد لحظة ولا ينسى مآثر العظام:

هناك قادة مدّوا رواق الإسلام في هذا العصر، وربّوا جيلاً يتعشقه ويفنى فيه، كانوا طرازًا خاصًّا من أصحاب القلوب الكبيرة والمشاعر المشبوبة، ما إن تتصل بهم حتى تحس إحساسًا دافقًا يتغلغل فيك، يخلعك من حاضرك وماضيك، ويُصيّرك من القافلة الهاتفة للّه العاملة للّه.. حاملة راية الإسلام فوق الشمس، صقلوا الأرواح ووصلوها بنبع

الكتاب والسنة.

رجال يظهرون في التاريخ على ندرة، ويُحدثون بمسلكهم الفذّ موجات جارفة من الحركة والتجديد.

كل منهم عملاق ورجل واسع، في نفسه مجالات شتى لبطولات متنوعة كل منهم حيث يحلّ يترك وراءه أثرًا صالحًا.

جوهر نفوسهم لا يتوفق عن الإشعاع.. سل عنهم الألوف المؤلفة ممن أشرق عليهم العظام في مداراتهم العتيدة.. يخبرونك أنهم لا يعيشون لأنفسهم، وإنما لبعث أمة وإحياء تاريخ.

يقولون لي ما أنت في كل بلدة وما تبتغي؟ ما أبتغي جَلَّ أن يُسمَّى

رجال من ألوية الإسلام.. حرّاس أيقاظ، لكأن الرجل منهم كان سدًّا تحتبس وراء أسواره العالية أمواج الفوضى والعصيان والفسوق، بل تنحسر وتتقهقر، وتموت ولا تستطيع أن تمسّ ما شاد الخير والبرّ من شعائر ومآثر.

نذكر منهم: الشيخ حسن البنا ـ رحمه اللَّه ـ وأجزل له المثوبة.

ومنهم محدث ديار الشام مجدد عصرنا في الحديث الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ـ رحمه اللَّه ـ من حبّب السنة الصافية إلى الصحوة، صاحب اللآلئ والكنوز.

ومنهم إمام العصر الرجل الذي اجتمعت حوله القلوب فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز ـ رحمه اللَّه ـ.

هؤلاء قمم صدوا الكلاب الكثيرة التي تنبح الإسلام، وتتحرّش برجاله وتكشّر عن أنيابها، وكأنها تريد قضم أبدانهم وخمش وجوههم وردّهم عن طريقهم.. ومن ذا يصد السيل إذا هدر؟

أكُلُّ امرئ نبت في بيت لا يعرف له أبًا، أو يعرف أباه خادمًا للاستعمار، يريد أن يطفح بسوئه على هذه الأمة لترضى الرذائل شريعة، واتباع الأجانب دينا؟!

هؤلاء يعيشون غافلين، لا يعرفون لهم هدفًا ولا رسالة إلا هدم الإسلام، أمواتًا غير أحياء. . لا هَمّ لهم إلا بطونهم، وشهوات فروجهم، أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات، باعوا نفوسهم بثمن بخس، نشوة سكر، أو غيبة خدر أو فورة جنس، أو سهرة مجون؟!

لترينهم حشو أجسامهم طينًا وحمأة، ولتجدن أحدهم وما في السفلة أسفل منه، شهوات ونزعات، خذ منهم الكذب، والتسفل، والوقاحة، والإلحاد، والانحلال والتعفن. . فأين هم من موج الإسلام الهادر. .

سوف تخضرّ المنابر
من جديد من جديد
والمحاريب ترى الذكر نديّا
من جديد من جديد
وستزهو الأرضُ من دفء الأذان
ويعم النور يا أحبابنا كل مكان
سوف نُعلي راية الإسلام في الأرض وإن طال الحصار
وسنبني للحضارة
ها هنا ألف منار ومنارة
سنصلي ونصلي
ونُعيد الضوء باسم اللّه للشمس الطريدة

هذه الصحوة نبراس أمة وحادية ركب لا يُستهان به.. فهلاّ عقل الغافلون العلمانيون.. هل وعوا سنن الأيام والزمان.. هل فقهوا عظمة العظمات في الإسلام وأنه صالح لكل زمان ومكان؟

فيا أبناء الصحوة، كونوا نسمة هادئة.. طيبها وأريجها اعتقاد صحيح وحسن خلق، وأقيموا دولة الإسلام في قلوبكم تقم بكم على أرضه، تملكوا مشارقها ومغاربها.. ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

يا صحوتنا المباركة.. يا طهر الطهر في دنيانا، يا طيب الطيب في عالمنا، لك اللَّه..

لك اللَّه يا دعوة الخالدين
لقد أوشك البغي أن يهمدا
نشرنا دمانا الزكيّة نورا
يضيء الظلام ويجلو الهدى

* * *

* إلى «جيل الصحوة»:

وأقول للجيل الجديدْ..
أقول للجيل المحصَّن بالعقيدةِ والمتوَّجِ بالصَّباحْ..
وأقول يا جيل الكفاح..
إنّا بلونا الليل والأشباه والموت المؤجَّل والجراحْ..
وأقول يا جيل المصاحف..
يا خمير الأرض.. يا طلق الولادةْ..

ها أنت كاليُنبوع تَدفُقُ في صحارينا..
وتمنحنا الوثيقةَ والشهادة..
أنت الذي سيُبَدِّلُ الأوزان والأحزانَ..
يزرعُ في العُيون نخيلَها..
فلكَمْ تباطأ في الرحيل عن القُرى عامُ الرَّمَادَةْ..
وأقولُ حَيّ على الفلاحْ..
أقولُ حَيّ على السلاحْ..
فإنّ فيك النبضَ يورق بين ترتيل الظهيرة والمساءْ..
وأقول يا جيل الفدَاءْ..
أكلت مواسمَنا الجنادبُ..
واستبدَّ بنا الحُواةْ..
وغادَرَتْنا آخرُ السحب الحميمة في السماءْ..
أنت الذي يَقتاتُ جمْرَ المرحلةْ..
ها إن أحبار اليهود تجمّعوا..ها إنهم حشدوا لنا..
فاقرأ على تلك الرُّؤوس «الزلزلةْ»..
اقرأ علينا باسم ربكَ ما تَيَسَّر يا بلالْ..
الشمسُ في كبد السماءْ..
ونحن في وَقْد الظهيرةْ..
كم نتوقُ إلى الظلالْ..
اقرأ علينا «المؤمنون» وشُدَّ قَوْسَكَ..
إنَّ قوسك لا تطيشُ بها النِّبالْ..
كم ذا سألتَ فلم يُجيبوا..

كم سألتَ فلم يجيبوا..
أنت وحدَك من يُجيبُ عن السُّؤَالْ..
يا أيها الجيلُ الجديدْ..ويا سليلَ الطُّهْرِ..يا بردَ اليقين..
كن باسم ربكَ قلعةً للخائفين..ومنهلاً للظامئين..
وكنْ رَصاصًا..كُن قصاصًا..
كن جذورًا..كن طيورًا..
كُنْ كما شاءت لَكَ «الأعرافُ» في الزمن العجينْ[1]..
يا أيها الجيل الجديد..
وقفتُ مندهشًا على عتبات خُطْوتكَ الجديدةْ..
وقرأتُ نبضكَ وانطلقتُ بلاَ عِنانْ..
من سُورة «الإسراء» جئتَ..ومن نَقاء الفجر..
والسبع المثاني..
ورأيتَ من خلف الدُّخَان وُجوهَهم..
وبلوتَ عَربدَةَ الدُّخانْ..
وحملت جُرحَك والهجيرَ..
حملت جرحك والعبيرَ..
فما الذي حملته أغْرِبَةُ الزمان[2]؟!

* * *

(١) عَجَنَ فلان يَعجن عجنًا: ينهض معتمدًا على الأرض بيديه كِبرًا: شاخَ وأسَنّ.
العجينُ: المسن: المخنّث الأحمق.
(٢) قصيدة «جيل الصحوة» من ديوان «إنها الصحوة» لمحمود مفلح ص(٣٧ ـ ٣٩) ـ دار الوفاء.

* وها هم نسور الشيشان..وغروزنى الشهيدة والشاهدة خير مبشر من واقعنا

ها هم أهل الشيشان الأمل الوضّاء في واقعنا يقول حاديهم:

في ليلة مولد الذئب خرجنا إلى الدنيا
وعند زئير الأسد في الصباح سَمَّوْنَا بأسمائنا
وفي أعشاش النسور أرضعتنا أمهاتنا
جراحنا تضمِّدُها أمهاتنا وأخواتُنا بذكر اللَّه
ونظرات الفخر في عيونهن تثير فينا
مشاعر القوة والتحدي
لا إله إلا اللَّه
إذا حاولوا تجويعنا سنأكل جذور الأشجار
وإذا مُنع عنا الماء سنشرب ندى النبات
فنحن في ليلة مولد الذئب خرجنا للدنيا

* * *

✍ أسود عالمنا من لقنوا العالم دروسًا تأخذ بالعقول والألباب تصيح في النائمين الغافلين والملاحدة والكافرين. قد صحا المارد العملاق. إنه ها ههنا لم يمت. ولعل انتصاراتهم المتتالية تبث الأمل في الصخر. فها هي روسيا الكافرة. وها هم ملاحدتها يتهمون الريح بالتواطؤ مع الأطفال ضد الغازات السامة. يتهمون المطر بالتواطؤ مع الطين ضد السَّبَخ. يتهمون المياه بالتواطؤ مع أكواخ الفقراء ضد حرائقهم. يتهمون الفضيلة بالتواطؤ مع مكارم الأخلاق ضد الرذيلة. فلا غرو إذن، إذا

حرثوا بالقنابل مآذن «غروزني»، ولا غرو إذا أصدروا الأوامر لإلقاء القبض على الصلوات!

لا طيور على الأفنان، لا أفنان للشجر، لا شجر في الحقول، وتحت المآذن الشهيدة بنوا معابد أوثان تتّسع لعولمة الخوذة والدولار.. فانتفض لهم أبرار الشيشان من الحنفاء.. حصّنوا أنهارهم بسدود اليقين، وأبصارهم بالبصيرة، وسواعدهم بالإرادة، وألسنتهم بالتضرع والاستغاثة إلى مَن عنده النصر في خزائنه التي لا تغيض.

واللَّه هم أولى الناس بما يقول الشاعر سليم أحمد زنجير الشاعر السوري في قصيدته «النسر» وكل كلمة في هذه القصيدة كأنما صيغت من أيامهم وأحوالهم وبطولاتهم:

وَكْري على قمم الشوامخ عالي ... والموت أطيب لي من الأغلالِ
حُرٌّ نسيجُ مشاعري من عِزّةٍ ... قعساء والطُّهرُ المقدّسُ حالي
الكون منذهلٌ بنُبل مطامحي ... والدهر منذهلٌ بحسنِ فِعالي
فاللَّه ربي قد أضاء بنوره ... عمري وأوقد بالسّموّ خيالي
فمزجت أنفاسي بعطر كتابه ... ورويت من آياته أوصالي
ووهبته روحي ولست بنادم ... وجعلتُ في مرضاته أعمالي
فجنيْتُ أسرار الحياة نديَّةً ... وطفقت أنثرها على الأجيالِ
دربي لهيبُ معامعٍ مسعورةٍ ... مشبوبةِ الآلام والآمالِ
دربٌ يمرّ الليث مذعوراً به ... وتفرّ منه جوارح الأدغالِ
إني لأعرفُ أين أمضي والمدى ... داجٍ ومَكرُ العالمين حيالي
وزوابعُ الإرهاب تصفعُ جبهتي ... ونزيف أحلامي يبُلُّ رِحَالي

لـكـن إيمـانـي أجـلُّ بـخـالـقـي ولـذا أغـذّ الـسَّـيْـر غـيـر مـبـال
فـــإذا هَـــوَيْـــت دون إرادةٍ مـنِّـي هُـويَّ الـنـسـر فـي الأجـبـالِ

* ومن قبلها بلاد الأفغان تمرّغ كرامة روسيا في الوحل وتهزمها شرّ هزيمة:

صدقوا اللَّـه فصدقهم واستعـذب الصادقون الموت في سبـيل اللَّه، وسالت الدماء المؤمـنة من الشباب المؤمن الذي جاء مـن كل مكان يؤازر إخوانه، وسُـطّرت آيات البـطولة التـي لا تصدقهـا العقول، ومـا كانت تخطر حتى في الرؤى، وأعاد الرجـال أيام صلاح الدين وقطز، ومرّغوا روسيا وأذاقـوها الويلات وظـهرت آيات الرحمـن في كرامات الـشهداء الشجعان، ووقف الـعالم كله مبهوراً لا يصدق ما يحـدث، كيف كفّنت كابول الروس في أول الضوء، كيف بعدما سحقوا النُّبل والكرامة والحب في بـلاد الأفغان وداسوا كـرامة الأمة ودنّسـوا عرضهـا، فكيف أطـلّت شمس الإسلام تغـزو عصابة الإفك والظلام الثقيـل، وكيف زغردت في سماء الأفغان لغة الحق جهاراً ورُتّلت هـذا الترتيل الجميل، كيف طُويت صفحة العـهارة والإلحاد، كيف دوّى تكبيـر الرجال وتهليلهـم فلم تكن النجوم فـي البلاد تسمع إلى هذا الـصدى المقدس؟.. إنه العقـيدة.. إنها دماء الصحوة الفتية..

مـن صـخـرة الآلام يـنـبـت فـجـرنـا ومـن الـفـجـيـعـة تُـشـرِق الأمـــجـادُ
مطر العقيدة سوف يجرف إفكهم كـــل الأصـــابع تحتهـــن زنـــاد
ولـكـم تـهـزّ المـؤمـنـين عـواصـف والمـــؤمـــنون إزاءهـــا أطـــوادُ
في الليل قد عزفوا على أوجاعهم فتسـاقط الطـاغـوت والإلحـادُ
إنـــي لألمحـهـم على صـــهواتـهـمِ كـــالمـوج ليـس لمـدّه أبـعادُ

جيـل تحـركه العـقـيـدة مـترع[1] بالكـبرياء وسـيفه استـشهادُ
يمضي على درب الشـهادة مـؤمنًا إن الحـيـاة عقيـدة وجهـاد

وكانت هزيمة الروس الثقيلة في بـلاد الأفغان سببًا كبيراً في سقوط إمبراطورية الروس..

وصَحْونا من الحلـم الجميل على حب الدنيا حينـما يدخل الميدان، على حب الرئـاسة حينما يضيع مـا سطرته الدماء المؤمنـة، ورأينا كيف سخِر العـالم من هذه اللحى الـطويلة المتقاتـلة المتناحرة وكيـف ضيّعت أجمل نصر، فلعلّ الناس يفيقون، وليعودوا إلى ربهم والعود أحمد.

✍ هذه الصحوة المباركة لن يستطيع شياطين الإنس أن يضربوا على آذان رجالها، فقد أفـاق المارد العملاق، وسيكسر طلاسم الـعالم ويبطل سحره بأذانه وتكـبيره، قد آن لليله أن ينجلي وأوشـك صبحه أن يشرق فها هو سَحَره قد دنا بنسيمه بايع الرجل ربه أن تكون حركاته وسكناته، أنفاسـه، خفق ضلوعـه، وجيب قلبـه، ماله، أولاده، بيتـه، للإسلام، فالإسلام أمه وأبوه، دينه لحمه وعرضه ودمه.

هـذا قـيـامًـا مـا خَـفـرتَ ذمـامـا مـذْ أسلـمَـتْك المكـرُمَـاتُ ذمامَـا
ومُـذ اعتليـت ذُرًا ببـيعتكَ التي عـانـقـتَ فـيـهـا المجد والإسـلامَـا
الشمس تاجُك والنجـوم قلائدٌ لـو كنـت تـرجو بـالجـهـاد وسامـا
لـلّـه درك مـن فـتـى مـتـوثـب يـا مَـن غـدا لـلـمـتـقـين إمـامـا
فاشـحـذ بـهـمـتك الزمانَ وقـل له أنـا مـا أزالُ الـسـيـدَ المِـقـدامـا
مـا سـطـوة الأيـام مـا طـعـنـاتـهـا إنـي عـلـوتُ بـهـمّـتـي الأيـامـا

(١) تَرِع الإناء ونَحْوه يَتْرَع تَرَعًا: امتلأ.

نار القرى أنا للألى قد أدلجوا ... يسترفدون محبة وسلاما
أنا واحة المستضعفين وأمنهم ... أنا ناشرُ النورِ الهدى أعلاما
وإذا ظُلمتُ فإن ظُلمي باسلٌ ... حتى أُقوِّم من يُصَعِّرُ هاما
هي جذوة الإيمان تسري في دمي ... فتحيلني بيد الزمانِ حُسَاما

❑ للّه درّ الشعراء الإسلاميين من صنّاع حياة ينطقون ويعبرون عما يجيش بصدور إخوانهم من شباب الصحوة، وتبني أبياتهم بيوت المدينة الفاضلة التي يشع فيها فجر المؤمن وغده الآتي مضمّخًا بنور الكتاب وعطر السنة.

❑ يقول قائلهم لكل مناوئ وشانئ أبتر يناصب دين اللّه العداء:

لا تعجبوا إني انتفضت كمارد ... من بعدما رقَّشْتُمُ أكفاني
هي شعلة الإيمان تسطع في دمي ... أبداً وتسري في نسيج كياني
أنا في مدار الشمس رغم سياطكم ... رغم الحديد المرّ والقضبان
إني أنا الفرد الحُسامُ إذا بدا ... جيش الظلام مُدَجَّج الأركانِ
ومن السيوف حدائد مغلولة ... ومن السيوف مهنَّدٌ ويماني
وترٌ أنا تُحيي النفوسَ لحُونُه ... ومن الجراح تفجّرت ألحاني
إني أنا السِّفْر الذي كلماتُه ... هَدْيٌ ومن كَلِم السماء بياني
وأنا أنا البحر الخضَمُّ أنا الذي ... جاشت غواربه بكل مكانِ
يُزجي إلى المستضَعفين سحائبا ... ولقد يهدُّ قواعدَ الطغيان

* * *

❑ مهما اشتد ظلم البغاة، ومهما عتوا، فإن فجر أمتنا آت لا محالة..

يا دامي العينين والكَفَّيْن ... إن الليل زائلْ
لا غرفة التعذيب باقية ... ولا زردُ السلاسلْ
وحبوب سنبلة تجفّ ... ستملأ الوادي سنابلْ

❑ نعم نعم..

أظننتَ دعوتنا تموت بضربةٍ؟ ... خابت ظنونك فهْي شر ظنونِ
بليت سياطُك والعزائمُ لم تزلْ ... منّا كحدِّ الصارم المسنونِ
إنّا لعَمْري إن صمتنا بُرْهةً ... فالنّارُ في البركانِ ذاتُ كُمونِ
تاللّه ما الطغيانُ يهزِم دعوةً ... يومًا وفي التاريخ برّ يميني
ضعْ في يديّ القيْد ألهب أضلعي ... بالسوط ضع عنقي على السكينِ
لن تستطيع حصار فكريَ ساعةً ... أو نزْعَ إيماني ونُورَ يقيني
فالنورُ في قلبي وقلبي في يديْ ... ربي.. وربي ناصري ومُعيني
سأعيش معتصمًا بحبل عقيدتي ... وأموت مبتسمًا ليحيا ديني
سنعودُ للدنيا نُطبُّ جراحها ... سنعودُ للتكبير والتأذين
ستسيرُ فُلْك الحقّ تحملُ جُندَه ... وستنتهي للشاطئ المأمون
باللّه مجراها ومُرساها فهل ... تخشى الردى واللّه خير ضمين؟

* * *

يا فُؤادي
قمْ بنا نُؤمنُ ساعهْ
ونناجي ربَّنا

في خشوعٍ وضراعة
نحن نحيا في زمانٍ جائرٍ
ذُبحت فيه الكراماتُ المضاعهْ
أظهر الذئب طِبَاعَهْ
أسقط الكلُّ قناعه
أعلنوا ملء الدُّنى أحقادهُم
بسفورٍ وبشاعَهْ
ذلك المسلمُ هَمٌّ
في فؤاد الكفر يَرْجُون انقشاعه
بدت البغضاء في أفواههم
والذي تُخفي الصدور اليوم أكبرْ
ظهر البغي عيانًا وتجبَّرْ
بعدما كان زمانا يَتَسَتَّرْ

* * *

كُشِفَتْ بين الورى سوءاتُهُمْ
فالذي قالوهُ عن حرية الرأي إشاعَهْ
أتقنوا حرب دُعاة اللَّه لم يَخْشَوْا قِراعَهْ
والذي يطلب حرب اللَّه باغٍ
بشِّروا الباغي بذُلٍّ ووَضَاعَهْ

* * *

مُسْلِم يحكي عن الفكر التماعَه

ومِن الحقِّ اتباعَه
ومِنَ الدين عُلاَه
ومن الخير اندفاعَهْ

* * *

غطَّ في الشمس يَرَاعَهْ
ومضى يكتب نُوراً
عَشِق الفجرُ شعاعَهْ
ترك الأوهام للناس وأَرْخَى
في بحار الحب والطُّهر شِراعَهْ
فتحَ العينَ على الدنيا صغيراً
فرأى العِرْض مُباعًا
والكرامات مُباعة
والرجولات كَذَابًا
والبطولات صِنَاعَة
ورأى اللاَّتَ تسومُ الناس جَوْراً
ومناةً تملأ الأرض بَشَاعَةْ
فاشترى الجنةَ بالدنيا
وأزجاها بَضَاعَهْ
ومضى يضرب رأس اللات بالفأس
ولم يَرْهَب هذيلاً أو خُزَاعهْ

* * *

طلب الكلُّ انصياعَهْ
قيصرٌ أرسلَ كالريح سباعَهْ
ورأى كسرى خِداعَهْ
أرسل النَّار وسمَّاها شَفَاعَهْ
وأتى أبرهةٌ بالفيل يَرْجُو قَتْلَهُ
ومن الأرض اقتلاعَهْ
غير أن الحقَّ في جَنْبَيه أهداهُ شعاعَهْ
فمضى في دربِه
واثقًا من ربِّه
لم تَزِدْه النارُ من أعدائه إلا شَجَاعَهْ
مُؤمنًا بالنصر يأتي
ساعةً أو بَعْضَ ساعَهْ
قُمْ بنا نُؤمنُ سَاعَهْ
ونُناجي ربنا في خشوعٍ وضَراعَهْ
هَلَك الإنسانُ لمّا
جعل الكُفْرَ مَتَاعَهْ
أيُّها المسلمُ يا مَن يملأُ الدنيا بهاءً ونصاعَهْ
أنتَ مَن نرجُو سماعَهْ
أنت مَن تنتظرُ الدنيا اتباعَهْ
أنت في الكون عزيزٌ
وَهُمُ سِقْط البضاعَهْ

تصِلُ الحاضر بالماضي ويرجونَ انقطاعَهْ
تَصِل الدُّنيا مع الأُخرى بِفَهْم واستطاعَهْ
وكنوزُ الأرضِ تأتيكَ وتكفيك القناعَهْ
أيها المسلمُ أقبِلْ
أنتَ من نرجو سماعَه
إن نصر اللّه آتٍ
ساعةً أو بعضَ ساعَهْ[1]

* * *

* وللّه دَرُّهُ وهو يقول:

أنا المسلم إني أسمعُ الدنيا تُناديني
وعندي البلسمُ الشافي لأمراضِ الملايينِ
ستعلو رايتي في هذه الدنيا وتُعْلِيني
ستنبثق الورودُ الحُمْر من قلب البراكينِ
وتورقُ في صحاري الرمل
غاباتٌ من الزيتون والتينِ[2]

* * *

(١) قصيدة «القناع» من ديوان «تراتيل للغد الآتي» للدكتور وليد قصاب ص(١٧٥ ـ ١٧٩).
(٢) من قصيدة «حوار مع فرعون»، من ديوان «تراتيل للغد الآتي» ص(٧٩).

أمة الإسلام
يا أمتي

زادُك النور..
وفي دربك ينبوع الشعاع
فانفذي.. فالفجر إنْ سرتِ على قيد ذراع
واصرعي الليلَ، ولو أقبلتِ من غير شراعِ
واركبي الإعصار والإصرار في وجه القلاعِ
إنما الفجر بيمناك.. وللآخر محتومُ الضياع

أمـــة الإســـلام يا أمتي

* ومن المبشرات: خصائص هذه الأمة وصفاتها:

فلها من الخصائص ما يجعل ريـح الإيمان تهب عليها دائمًا، وربيع القلـوب والأرواح يروّحها أبدًا، فـتجيء منها الأعـاجيب في العـقيدة، والأعمال، والأخلاق، والـيقين والإيثار، وكبـر النفس، وسموّ الـنظر، وشجرة هذه الأمة لا تزال تـثمر، وخليّتها لا تزال تعسل، ولـن تستطيع أمة أن تقوم مقامها ولا أن تؤدي دورها فشرارة الحياة والطموح كامنة أبدًا في رمادها، ولا يـزال فيها رجال تتجافـى جنوبهم عن المضاجـع وتسيل دموعهم على خدودهم سحرًا.

✍ عنـد هذه الأمة دائمًـا اليد البـيضاء الـتي تشرق لـها الظلـمات ويضيء لها العالم. وقوارع هذا العصر وهزءه سيقض مضجعها ويوقظها ويوجهها إلى شريعة حبيبها.

✍ إن أمة حباها اللَّـه بهذه الخصائص ومَنّ عليها بـهذه الصفات لن تموت، وحريّ بـكل فرد من أبنـائها أن يقـف طويلاً أمام هذه الـصفات والخصائص حتى تـبعثه من هزله إلى الجد، من شـروده وضياعه إلى ما خُلق له، ومن غفوته وغفلته إلى اليقظة حتى يقول للناس: أنا ابنها. أنا لها..

لأُمتـي قـدر بـالـديـن يُكـرمـهـا ... وبـالفـلاح الـذي يـغـشـى محـيّـاها

❑ وللَّه ما أحلى قول القائل:

إنـنـا مـن أمـة أنـزلـهـا ... ديـنـهـا فـوق الـبـرايـا مـنـزلا

نجـمـهـا فـيـه مـن الخُـلـد سـنـا ... إنْ خـبـا حـينًـا فـلـن لـن يـأفـلا

❑ قد يقول قائل: دعني من قولك، أين هذه الأمة؟

عـروسٌ جُـلِّـلَـتِ بـثـيـاب حـزن وطاف بـهـا عـلـى الـشـارين عـبـد
مـراكـبـهـا تُـسَـيَّـرُ فـي بـحـارٍ ولا هـدفٌ عـلـى الـشـطآن يـبـدو

❑ قد يقول قائل: هذه الأمة ماتت.

فَصِحْ على القبر هذي أمة رحلت لـم يـبـق مـن ذِكـرهـا شـأن ولا أثـرُ

❑ فأقول: لا.. لا ومعـي ألف شاهد وشاهد ويكفـي شاهدا عدل من الكتاب والسنة.. من نبعها يلوح الفجر.

يـا ابـن أمـي رب فـجـر جـديـد في رباك الخضر يكسو الهضابا
رب ومـضٍ مـن شـعـاعٍ ولـيـد يـبـهـر الأبـصـار، يـغـزو الـضـبـابـا

❑ قل لـكل شـارد عاق.. عُد إلـى أمك أمتـك.. فخـرك وعزك، ودَعْك من ترهات النابحين الناعقين.. دومًا الناهشين عرض أمتنا..

وما علموا..
بأنا في ضمير الكون محفورٌ محيّانا
وإن نشيدنا يسري
كما يسري ضياء الشمس نشوانا
وما علموا..
بأن شهادة التوحيد في الأكوان قدسية
وأن رطوبة التوحيد في فمنا
مؤيدة بنصر اللَّه محميّة

✍ فهيا إلى الشاهِدَيْن لتعرف قدر أمتك وفضلها:

(١) هذه الأمة خير الأمم وأكرمها على الله عز وجل:

* قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾.

● عن بَهْز بن حكيم عن أبيه عن جده مرفوعًا:

«إنكم تُتمون سبعين أمة أنتم خيرُها وأكرمُها على اللَّه»[١].

● وعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«نُكمل يوم القيامة، نحن آخرها وخيرها»[٢]. وفي زيادة: **«وأكرمها على اللَّه»**، وفي زيادة: **«وأفضلهم»**.

● وعنه ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«إنكم وفَّيتُم سبعين أمة، أنتم خيرُها وأكرمُها على اللَّه»[٣].

---

(١) حسن: أخرجه أحمد (٥/ ٦٥)، والترمذي «تحفة الأحوذي» (٨/ ٣٥٢)، وابن ماجه (٤٢٨٨)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٨٤)، والطبري في «تفسيره» (٧٦٢٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره»، وعبد اللَّه بن المبارك في «مسنده» (١٠٦) ص(٦٥). وبهز بن حكيم ابن معاوية بن حيدة القشيري صدوق، وحكيم بن معاوية صدوق أيضًا، وحسنه الألباني في تخريج «المشكاة» (٦٢٩٤)، و«صحيح الجامع» رقم(٢٣٠١).

(٢) حسن: أخرجه ابن ماجه (٤٢٨٧، ٤٢٨٨ بالزيادة)، والحاكم (٤/ ٨٤)، وأحمد (٥/ ٣، ٥)، والخزاعي في «زوائد الزهد» (٣٨٢)، والطبراني في «الكبير» (١٩/ ١٠١٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٣٠، ١٠٣٦، ١٠٣٧)، وابن عدي (٦/ ٢٢٨٨)، والبيهقي (٩/ ٥). وبهز بن حكيم عن أبيه عن جده إسناد حسن، وفي بعض الروايات زيادة «وأفضلهم» عند الحاكم (٤/ ٨٤) والطبراني في بعض المواضع، وقد تابع بهزًا الجريري عند الحاكم بالزيادتين فصح الحديث.

(٣) حسن: أخرجه ابن ماجه في كتاب «الزهد» (٤٢٨٨)، وإسناده حسن، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ٥)، والحاكم (٤/ ٨٤)، وعبد بن حميد في «المنتخب» (١/ ٣٧٤) رقم(٤٠٩، ٤١١) وابن جرير في «تفسيره» تحقيق شاكر (٧/ ١٠٤) رقم(٧٦٢١) وإسناده حسن، وبرقم(٧٦٢٢)، وإسناده حسن.

قال المناوي:

«ويظهر هذا الإكرام في أعمالهم وأخلاقهم وتوحيدهم ومنازلهم في الجنة ومقامهم في الموقف، ووقوفهم على تل يشرفون عليهم، وغير ذلك، ومما فُضِّلوا به الذكاء وقوة الفهم ودقة النظر وحسن الاستنباط فإنهم أوتوا من ذلك ما لم ينله أحد ممن قبلهم»[1].

أمة تخرج إخراجا من وراء الستار السرمدي الذي لا يعلم ما وراءه إلا اللَّه، أمة لها دور خاص، ومقام خاص، وحساب خاص.

هذا ما ينبغي أن تدركه الأمة المسلمة، لتعرف حقيقتها وقيمتها، وتعرف أنها أخرجت لتكون طليعة، ولتكون لها القيادة، بما أنها هي خير أمة.

ينبغي دائمًا أن تعطي الأمم مما لديها، وأن يكون لها دائمًا ما تعطيه من الاعتقاد الصحيح، والتصور الصحيح، والنظام الصحيح، والخلق الصحيح، والعلم الصحيح، لتكون في الطليعة دائمًا، وفي مركز القيادة دائمًا، ولهذا المركز تبعاته، لا يُؤخذ ادّعاء ولا يُسلم لها به إلا أن تكون هي أهلاً له.

وفي أول مقتضيات هذا المكان، أن تقوم على صيانة الحياة من الشر والفساد، وأن تكون لها القوة التي تمكنها من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فهي خير أمة أخرجت للناس لا من مجاملة أو محاباة، ولا عن

(١) «فيض القدير» (٢/ ٥٥٣).

مصادفة أو جزاف ليست كأهل الكتاب القائلين ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ وإنما نهوض بتكاليف الأمة الخيّرة، بكل ما وراء هذه التكاليف من متاعب وأشواك.. تحريض على الخير وصيانة المجتمع من الفساد واستقامة على منهج اللَّه، وإيمان باللَّه لمواجهة طاغوت الشر في عنفوانه وجبروته، ومواجهة طاغوت الشهوة في عرامتها وشدتها، ومواجهة هبوط الأرواح، وكلل العزائم، وثقلة المطامع.

✍ هذه صفة الأمة المسلمة «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا توجد الأمة وجودًا حقيقيًّا إلا أن تتوافر فيها هذه السمة التي تُعرف بها في المجتمع الإنساني».

(٢) الأمة الوسط:

* قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

❑ قال الطبري في «تفسيره» (٢/ ٦):

«أرى أن اللَّه ـ تعالى ذكره ـ إنما وصفهم بأنهم وسط لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غلو فيه غلو النصارى الذين غلوا بالترهب، وقولهم في عيسى ما قالوا فيه، ولا هم مقصّرين فيه تقصير اليهود، الذين بدلوا كتاب اللَّه، وقتلوا أنبياء اللَّه، وكذبوا على ربهم وكفروا به، ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه، فوصفهم اللَّه بذلك إذ كان أحب الأمور إلى اللَّه أوسطها».

والوسط هو الأفضل، قال تعالى ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ أي: خيرهم وأفضلهم، والوسط محمي محوط، والأطراف يتسارع إليها الخلل

والأعوار، قال الطائي:

كانت هي الوسط المَحميّ فاكتنفت بها الحوادث حتى أصبحت طرفا

✍ هي الأمة الوسط التي تشهد على الناس جميعًا، فتقيم فيهم العدل والقسط، وتضع لهم الموازين والقيم، تبدي فيهم رأيها فيكون هو المعتمد، وتزيد قيمهم وتصوراتهم وتقاليدهم وشعاراتهم فتفصل في أمرها، لا التي تتلقى من الناس تصوراتهم وقيمهم وموازينهم.

وهي شهيدة على الناس، وفي مقام الحكم العدل بينهم، هذه حقيقة الأمة ووظيفتها فلتعرفها.. ولتشعر بضخامتها، ولتقدر دورها حق قدره، وتستعد له استعدادًا لائقًا.

✍ إنها للأمة الوسط بكل معاني الوسط سواءً من الوساطة بمعنى الحسن والفضل، أو من الوسط بمعنى الاعتدال والقصد، أو من الوسط بمعناه المادي الحسيِّ.

* ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ في التصور والاعتقاد.. لا تغلو في التجرد الروحي ولا في الارتكاس المادي.

* ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ في التفكير والشعور لا تتبع كل ناعق، وتقلّد تقليد القردة المضحك ولا تغلق منافذ التجربة؛ فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها التقطها.

* ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾في التنظيم والتنسيق.. لا تدع الحياة كلها للمشاعر والضمائر، ولا تدعها كذلك للتشريع والتأديب، إنما ترفع ضمائر البشر بالتهذيب، وتكفل نظام المجتمع بالتشريع والتأديب، وتراوح بين هذه وتلك، فلا تكل الناس إلى سوط السلطان، ولا تكلهم كذلك إلى وحي الوجدان، ولكن مزاج من هذا وذاك.

* ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ في الارتباطات والعلاقات.. لا تلغي شخصية الفرد ومقوماته، ولا تلاشي شخصيته في شخصية الجماعة، ولا تطلقه كذلك فردًا أثِرًا جشعًا لا همّ له إلا ذاته.

* ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ في المكان.. في سرّة الأرض، وفي أوسط بقاعها، وما تزال هذه الأمة التي غمر أرضها نور الإسلام إلى هذه اللحظة هي الأمة التي تتوسط أقطار الأرض من شرق وغرب، وجنوب وشمال، وما تزال بموقعها هذا تشهد الناس جميعًا، وتشهد على الناس جميعًا، وعن طريقها تعبر ثمار الطبيعة، وثمار الفكر والروح من هنا إلى هناك، وتتحكم في هذه الحركة ماديها ومعنويها على السواء.

* ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ ..في الزمان تُنهي عهد طفولة البشرية من قبلها، وتحرس عهد الرشد العقلي من بعدها.. تقف في الوسط تنفض عن البشرية ما علق بها من أوهام وخرافات من عهد طفولتها، وتصدّها عن الفتنة بالعقل والهوى، وتزاوج بين تراثها الروحي من عهود الرسالات، ورصيدها العقلي المستمر في النماء، وتسير بها على الصراط المستقيم بين هذا وذاك.

❑ لطيفة:

تأمل في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ تجد أن كلمة جعلناكم ليس معناها خلقناكم، وإنما المعنى الصحيح هو صيّرناكم أمة وسطًا، وإنما صيّرها اللّه كذلك بدينه المنزل، عندما استقامت على الخصائص التي رسمها رب العالمين، فليست الأفضلية والخيرية لقبًا أطلق على الأمة من غير مضمون، ولكنه عنوان لحقيقة تَجَسّدت في الأمة،

فقد سما هذا الدين بـهذه الأمة في عقيدتها وتفكيرها وتـوجهات قلوبها وأقوالها وأعمالهـا ونظمها حتى مثّلت الأنموذج الفـاضل الذي يريده اللَّه تعالى للبشرية. هذه الأفضلية تتـلخص في أخذها بهذا الدين في نفسها ودعوة الناس إلى الحق الذي قررّه هذا الديـن، ونهيهم عن الباطل الذي نهاهم عنه هذا الدين.

ولما تركت هذا أصبحت في ذيل القافلة بعد أن كانت في طليعتها، وأخذت تتـسوَّل على موائد الـفكر الإنسانـي بعد أن كانت منـارة تهدي الحيارى والتائهين، وأخذت تضطرب فـي سيرها وتتأرجح في فكرها ولا تعرف السبيل الذي تسلكه بعد أن كانت الدليل الحاذق الرائد في الدروب المتشابكة في الصحراء التي لا يهتدي فيها الأدلاء المجربون.

(٣) الشهداء على الأمم:

* قال تـعالـى: ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا** ﴾ [البقرة: ١٤٣].

من خصائص هذه الأمة أنها تشهد على الأنبياء عليهم السلام بتبليغ رسالاتهم إلى أممهم واللَّه سبحانه وتعالى لم يجعـل الصالحين من أتباع الأنبياء شهداء على أنبيائهم.

● عن أبي سعيـد الخدري ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قـال رسول اللَّه ﷺ:

«يجيء نـوح وأمته، فيقول اللَّه: هل بلَّغت؟ فيقول: نعم أي رب! فـيقول لأمته: هل بلّغكم؟ فيقولون: لا، ما جاء لنـا من نبي، فيقول لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته» وهو قوله تعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا**

شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾، والوسط العدل، فيُدعون، فيشهدون له بالبلاغ، ثم أشهد عليكم»[١].

● عن أبي سعيد ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«ويجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجل، والنبي ومعه رجلان، والنبي ومعه الثلاثة، وأكثر من ذلك، فيُقال له: هل بلّغت قومك؟ فيقول: نعم، فيُدعى قومه، فيُقال لهم: هل بلّغكم هذا؟ فيقولون: لا، فيُقال له: مَن يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فيُدعى محمد وأمته، فيُقال لهم: هل بلّغ هذا قومه؟ فيقولون: نعم، فيُقال: وما علمكم بذلك؟ فيقولون: جاءنا نبينا، فأخبرنا أن الرسل قد بلّغوا فصدّقناه، فذلك قوله: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾»[٢].

● قال الحافظ ابن حجر:

«ويُؤخذ من حديث أُبيّ تَعْميم ذلك؛ فأخرج ابن أبي حاتم بسند جيد عن أبي العالية عن أُبيّ بن كعب في هذه الآية قال: ﴿ لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ ﴾: وكانوا شهداء على الناس يوم القيامة، كانوا شهداء على قوم نوح، وقوم هود، وقوم شعيب، وغيرهم أن رسلهم بلّغتهم وأنهم كذّبوا رسلهم».

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده»، والبخاري في كتاب «الأنبياء» (٦/ ٣٧١) وفي التفسير (٧/ ١٧١) (٤٤٨٧)، والترمذي (٢٩٦١)، والنسائي في «تفسيره» (١/ ١٩٧)، وابن ماجه في «الزهد» (٤٢٨٤) عن أبي سعيد. والوسط العدل عده الحافظ من كلام النبي ﷺ انظر «الفتح» (٨/ ١٧٢).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد، والنسائي، وابن ماجه، عن أبي سعيد، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم(٨٠٣٣)، والسلسلة الصحيحة رقم(٢٤٤٨).

● قال الحافظ: «وفيه بيان أن الشهادة لا تخصّ قوم نوح بل تعم الأمم»[1].

* هذه الأمة مجتباة مصطفاة سمّاها الله:

* قال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨] أمة اجتباها اللَّه واصطفاها وسمّاها.

✍ أمة اختارها اللَّه للأمانات الضخمة من بين عباده. وإن هذا الاختيار ليضخّم التبعة ولا يجعل مجالاً للتخلي عنها أو الفرار، وإنه لإكرام من اللَّه لهذه الأمة أي إكرام؟ سُلِّمت إليها الأمانة، وعُهِد إليها بالوصاية على البشرية، فهي القوّامة على البشرية بعد نبيها، وهي الوصية على الناس بموازين شريعتها وتربيتها وفكرتها عن الكون والحياة، ولن تكون كذلك إلا وهي أمينة على منهجها العريق المتصل الوشائج، المختار من اللَّه.

* وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[البقرة: ١٣٢]، فهذا اختيار واصطفاء ورعاية من اللَّه للأمة، وفضل من اللَّه عليها، فلا اختيار لها بعده، وهذه الكلمة من اللَّه، وهذه الشهادة منه تسكب في قلب المؤمن الاعتزاز بما هو عليه.

---

(١) «فتح الباري» (٨/ ١٧٢).

(٤) الأمة الوارثة لتراث العقيدة:

* قال تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

✍ هذه الأمة أصلها عريق أصيل ضارب في أعماق الزمن موصول الماضي بالحاضر بالمستقبل.

✍ هذه الأمة الوارثة لتراث العقيدة، الموصولة بهذا الأصل العريق، السائرة على الدرب على هدى ونور.

(٥) هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة:

لم تجتمع هذه الأمة في تاريخها الطويل على ضلالة من الضلالات الاعتقادية أو الفقهية فلم ولن يلحقهم الضلال.

* قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ أي: عدولاً، ومقتضى ذلك أنهم عصموا من الخطأ فيما أجمعوا عليه.

● عن عبد اللَّه بن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن اللَّه تعالى لا يجمع أمتي على ضلالة، ويد اللَّه على الجماعة**»[1].

● قال المناوي في «فيض القدير» (١/ ٢٧): «أي علماء أمتي؛ لأن العامة عنها تأخذ دينها».

---

(١) صحيح: رواه الترمذي في «سننه»، في كتاب «الفتن» باب ما جاء في لزوم الجماعة (٢١٦٧)، وكذا رواه الطبراني في «الكبير»، والحاكم في «المستدرك»، والبيهقي في «الأسماء»، وصححه الألباني في «تخريج السنة» (٨٠)، و«تخريج المشكاة» (١٧٣).

● وعن أنس ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن اللَّه تعالى قد أجار أمتي على ضلالة**»[١].

(٦) مثل هذه الأمة مثل المطر:

● عن أنس ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**مثل أمتي مَثَلُ المطر لا يُدرى أوّلُه خير أم آخره**»[٢].

❑ قال أبو محمد الرَّامَهُرْمُزي: «إن تعلق متعلق بظاهر هذا الحديث فادّعى عليه تناقضًا في قوله ﷺ: «**خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم**»، فإن المعنى في قوله ﷺ: «**لا يدرى أوله خير أم آخره**»: أن الخير شامل لها، وإن كان معلومًا أن القرن الأول خير من القرن الثاني، وهذا كما قال اللَّه عز وجل: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**﴾.

❑ وقال الشاعر يذكر امرأة أعجبه منها بيانها وطرفها وثغرها:

أشارت بأطرافٍ لطافٍ وأجفنٍ ... مراض وألفاظ تنعم بالسحر

فواللَّه ما أدري أفي الطرف سحرها ... أم السحر منها في البيان وفي الثغر

---

(١) **حسن**: أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٤١) رقم(٨٣)، (٩٢) (١/ ٤٤)، وحسنه الألباني بمجموع الطرق في «ظلال الجنة» وفي «تخريج السنة»، وفي «الصحيحة» رقم(١٣٣١).

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد في «مسنده»، والترمذي في كتاب الأمثال (٥/ ١٥٢) رقم (٢٨٦٩) عن أنس، وقال: حسن غريب، وأخرجه أحمد عن عمار، والطبراني في «الكبير» عن ابن عمر، وعن ابن عمرو، ورواه أبو يعلى عن علي، وقوّاه الحافظ في «الفتح» (٦/ ٧)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٨٥٤). و«الصحيحة» رقم (٢٢٨٦)، و«تخريج المشكاة» (٦٢٧٧).
وقد ضعف النووي في «فتاويه» ص(١٢٧) هذا الحديث بحسب ما وقف عليه من طرق. والصحيح أن الحديث صحيح ثابت بطرقه الكثيرة.

يريد أن السحر في جماعتها ا.هـ.

❑ وقال ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٨٤ ـ ٢٨٥): إن الدين في حاجة إلى مَنْ يقوم به في أول الأمة وآخرها، لكن الأول أفضل؛ لأن أول المطر أفضل من آخره وبه يتم الإنبات. والعلم عند اللَّه.

❑ ورجح ابن عبد البر أن الأفضلية المذكورة في حديث: «**خير الناس قرني**» إنما هي بالنسبة إلى المجموع لا الأفراد».

❑ وقال النووي في «فتاويه» ص(١٢٧): «أول الأمة الأفضل».

❑ وقال المباركفوري: قال الطيبي: وتمثيل الأمة بالمطر إنما يكون بالهدى والعلم كما أن تمثيله ﷺ بالغيث بالهدى والعلم فتختص هذه الأمة المشبَّهة بالمطر بالعلماء المكملين لغيرهم فيستدعي هذا التفسير أن يراد بالخير النفع فلا يلزم من هذه المساواة الأفضلية، ولو ذهب إلى الخيرية فالمراد وصف الأمة قاطبة سابقها ولاحقها وأولها وآخرها بالخير، وأنها ملتحمة بعضها مع بعض مرصوصة بالبنيان مفرغة كالحلقة التي لا يدرى أين طرفاها؟ ويلمح إلى هذا قول الشاعر:

إن الخيار من القبائل واحد ... وبنو حنيفة كلهم أخيار

فالحاصل أن الأمة مرتبطة بعضها مع بعض في الخيرية بحيث أُبْهم أمرها فيها وارتفع التمييز بينها، وإن كان بعضها أفضل من بعض في نفس الأمر، وفي معناه أنشد مروان بن أبي حفصة:

تشابه يوماه علينا فأشكلا ... فما نحن ندري أيّ يوميه أفضل

يومٌ بداء العمر أم يوم يأسه ... وما منهما إلا أغرُّ محجل

ومن المعلوم علمًا جليًّا أن يوم بداءة العمر أفضل من يوم يأسه لكن البدء لم يكن يكمل ويستتب إلا باليأس، أشكل عليه الأمر فقال ما قال،

وكذا أمر المطر والأمة. انتهى.

(٧) شهداء اللّه في الأرض:

● عن أنس ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: مُرّ على النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم بجنازة، فأثنوا عليها خيرًا، فقال: «**وجبت**»، ثم مرّ بأخرى فأثنوا عليها شرًّا ـ أو قال غير ذلك ـ فقال: «**وجبت**»، فقيل: يا رسول اللَّه قلت لهذا: وجبت، ولهذا وجبت، قال: «**شهادة القوم، المؤمنون شهداء اللَّه في الأرض**»[1].

● وعن أنس بن مالك ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: مُرّ على النبي ﷺ بجنازة فأُثني عليها خيرًا فقال نبي اللَّه ﷺ: «**وجبت وجبت وجبت**»، ثم مُرّ بجنازة فأثني عليها شرًّا، فقال نبي اللَّه ﷺ: «**وجبت وجبت وجبت**». فقال عمر: فدًى لك أبي وأمي مُرّ بجنازة فأثني عليها خيرًا فقلت: وجبت وجبت وجبت، ومرّ بجنازة فأثني عليها شرًّا فقلت: وجبت وجبت وجبت، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**من أثنيتم عليه خيرًا وجبت له الجنة، ومن أثنيتم عليه شرًّا وجبت له النار، الملائكة شهداء اللَّه في السماء، وأنتم شهداء اللَّه في الأرض، أنتم شهداء في الأرض، أنتم شهداء اللَّه في الأرض، المؤمنون شهداء اللَّه في الأرض، إن للَّه ملائكة تنطق على ألسنة بني آدم بما في المرء من الخير والشر**»[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٤٢)، ومسلم (٩٤٩)، وابن ماجه (١٤٩١)، وابن حبان (٣٠٢٥)، وأحمد (٣/ ١٨٦، ١٩٧)، وعبد بن حميد في «المنتخب» (١٣٥٧، ١٣٨٢)، وأبو يعلى (٣٣٥٢، ٣٣٥٣، ٣٤٦٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٢٩١)، والبيهقي (٤/ ٧٥)، (١٠/ ١٢٣، ١٢٤)، والبغوي (١٥٠٨).

(٢) رواه البخاري (٣/ ٢٢٨ ـ ٢٢٩)، ومسلم في كتاب الجنائز (٢/ ٦٥٦)، والنسائي=

● ويا لرفعة هذه الأمة عند ربها حين يجعل شهادة اثنين منها بخير لرجل تدخله الجنة كما قال النبي ﷺ: «**أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله اللَّه الجنة**»، قلنا: وثلاثة، قال: «**وثلاثة**»، قلنا: واثنان، قال: «**واثنان**»، ثم لم نسأله عن الواحد»[١].

وهذه الشهادة لا تختص بالصحابة ـ رضي اللَّه عنهم ـ فقط بل وأيضًا تختص بالثقات والمتقين، فقد قال الحافظ ابن حجر: «المخاطبون بذلك من الصحابة، ومَن كان على صفتهم من الإيمان»[٢].

ففي لفظ آخر قال النبي ﷺ: «**المؤمنون شهداء اللَّه في الأرض**»[٣].

● وعن أنس مرفوعًا: «**ما من مسلم يموت فيشهد له أربعة من أهل أبيات جيرانه الأدنين أنهم لا يعلمون منه إلا خيرًا إلا قال اللَّه تبارك وتعالى: «قد قبلت قولكم»**، أو قال: «**بشهادتكم غفرت له ما لا تعلمون**»[٤].

(٨) الأمة الأقل عملاً والأكثر أجرًا:

● قال رسول اللَّه ﷺ: «**مثل المسلمين واليهود والنصارى، كمثل**

= (١/ ٢٢١)، والترمذي في كتاب الجنائز (٣/ ٣٧٣)، وأحمد (٣/ ٢٨١، ١٨٦، ١٩٧، ٢١١، ٢٤٥)، وأبو داود الطيالسي رقم (٢٠٦١)، والحاكم (١/ ٣٧٧)، وبيبي بنت عبد الصمد الهرثمية في جزئها رقم (١٠٩) ص(٧٩).

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز باب ثناء الناس على الميت «فتح الباري» (٣/ ٢٢٨)، وفي الشهادات (٥/ ٢٥٢)، والنسائي في كتاب الجنائز باب الثناء رقم (١٩٣٤)، والترمذي (٤/ ٥٠ ـ ٥١) (١٠٥٩)، وأحمد (١/ ٢٢، ٣٠)، وأبو داود الطيالسي (٢٣).

(٢) «فتح الباري» (٣/ ٢٢٩).

(٣) «فتح الباري» ـ كتاب الشهادات ـ باب «المؤمنون شهداء اللَّه في الأرض»، والنسائي في «الإيمان»، وابن ماجه «صحيح سنن ابن ماجه» (١/ ٢٥٠) (١٢١١).

(٤) صحيح: أخرجه أحمد (٣/ ٢٤٢)، والحاكم (١/ ٣٧٨)، وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

رجل استأجر قومًا يعملون له عملاً إلى الليل، فعملوا إلى نصف النهار، فقالوا: لا حاجة لنا إلى أجرك الذي شرطت لنا وما عملنا لك، فقال لهم: لا تفعلوا، أكملوا بقية عملكم، وخذوا أجركم كاملاً، فأبَوْا وتركوه، فاستأجر أجراء بعدهم، فقال: اعملوا بقية يومكم ولكمُ الذي شرطتُ لهم من الأجر، فعملوا، حتى إذا كان حينُ صلاة العصر قالوا: لك ما عملنا، ولك الأجر الذي جعلت لنا فيه، فقال: أكملوا بقية عملكم، فإنما بقي من النهار شيء يسير، فأبوا، فاستأجر قومًا أن يعملوا له بقية يومهم، فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس واستكملوا أجر الفريقين كليهما، فذلك مثلهم، ومَثَلُ ما قبلوا من هذا النور»[1].

فاللَّه يتكرّم على هذه الأمة المصطفاة المجتباة أمة رسول اللَّه ﷺ، فيضاعف لها الأجر، فتعمل القليل، وتأخذ الأجر الكثير.

● وعن ابن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ عن النبي ﷺ قال: «مثلكم ومثل أهل الكتابَيْن كمثل رجل استأجر أُجراء فقال: من يعمل لي من غدوة إلى نصف النهار على قيراط؟ فعملت اليهود. ثم قال: من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط؟ فعملت النصارى، ثم قال: مَن يعمل لي من العصر إلى أن تغيب الشمس على قيراطين؟ فأنتم هم. فغضبت اليهود والنصارى، فقالوا: ما لنا أكثر عملاً وأقلّ عطاء؟ قال: هل نقصتكم من حقكم؟ قالوا: لا. قال: فذلك فضلي أوتيه من أشاء».

وفي رواية: «أنهم عجزوا» حتى إذا انتصف النهار عجزوا فأعطوا قيراطًا قيراطًا»[2].

❑ قال الحافظ: «وكذا وقع في بقية الأمم»[3].

(١) أخرجه البخاري عن أبي موسى.
(٢) أخرجه البخاري ـ انظر «فتح الباري» (٤/ ٤٤٥).
(٣) «فتح الباري» (٤/ ٤٤٦). والقيراط هنا: النصيب.

ومثل ذلك: العمل في ليلة القدر، وصيام يوم عرفة، والعمل الصالح في عشر ذي الحجة فثواب هذه الأعمال كبير جدًّا مع أنها أعمال يسيرة في جانب هذا الأجر العظيم.

(٩) الأمة الباقية المحفوظة:

● عن معاذ بن جبل ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: صلى بنا رسول اللَّه ﷺ يومًا صلاة فأطال فيها فلما انصرف قلنا: يا رسول اللَّه أطلت اليوم الصلاة قال: «**إني صليت صلاة رغبة ورهبة سألت اللَّه عز وجل لأمتي ثلاثًا فأعطاني اثنتين وردّ عليّ واحدة، سألته أن لا يُسلّط عليهم عدوًّا من غيرهم فأعطانيها، وسألته أن لا يهلكهم غرقًا فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فردّها عليّ**»[(١)].

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «**سألت ربي ثلاثًا، فأعطاني اثنتين، ومنعني واحدة، سألت ربي أن لا يُهلك أمتي بالسَّنَة، فأعطانيها، وسألته أن لا يُهلِك أمتي بالغرق، فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم، فمنعنيها**»[(٢)].

● وعن ثوبان مرفوعًا: «**إن اللَّه زوى لي الأرض فرأيت مشارقها**

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد في «مسنده» (٣/ ١٤٦، ١٥٦)، (٥/ ٣٤٠، ٢٤٣، ٢٤٧)، وابن ماجه رقم (٣٨٩٥) كتاب الفتن (٢/ ١٣٠٣)، والطبراني في «الكبير» (٤/ ١/ ٢٢٨ ـ ٢٣٠)، والبخاري في «التاريخ الكبير»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٢٤٦٦)، و«السلسلة الصحيحة» رقم (١٧٢٤).

(٢) رواه أحمد (١/ ١٧٥، ١٨٢)، ومسلم (٢٨٩٠)، وابن حبان (٧١٩٣) مقتصرًا على اثنتين بدون ذكر الغرق، وابن أبي شيبة (٦/ ٣١١)، وابن أبي عاصم في «الديات» ص(٤٤)، وأبو يعلى (٧٣٤)، والبغوي في «شرح السنة» (٤٠١٤) عن سعد بن أبي وقاص.

ومغاربها، وإن ملك أمتي سيبلغ ما زُوي لي منها، وإني أُعطيت الكنزين الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكوا بسَنة عامة، ولا يُسلِّط عليهم عدوًّا من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم، وإن ربي عز وجل قال: يا محمد، إني إذا قضيتُ قضاءً فإنه لا يُرَدّ، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أُسلِّط عليهم من بين أقطارها، حتى يكون بعضهم يفني بعضًا»[1] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ :

«إنها صلاة رغبة ورهبة، سألت اللَّه فيها ثلاث خصال، فأعطاني اثنتين، ومنعني واحدة، سألته أن لا يُسحِتَكم بعذاب أصاب من كان قبلكم، فأعطانيها. وسألته أن لا يُسلِّط على بيضتكم عدوًّا فيجتاحها، فأعطانيها، وسألته أن لا يلبسكم شيعًا، ويذيق بعضكم بأس بعض فمنعنيها»[2] .

● وعن عوف بن مالك ـ رضي اللَّه عنه ـ عن النبي ﷺ قال:

«لن يجمع اللَّه تعالى على هذه الأمة سيفين: سيفًا منها وسيفًا من عدوها»[3] .

---

(١) رواه أحمد واللفظ له (٥/ ٢٧٨)، ومسلم (٢٨٨٩)، وأبو داود (٤٢٥٢)، والترمذي (٢١٧٦)، وابن ماجه (٣٩٥٢)، وابن حبان (٦٦٧٩، ٧١٩٤)، والحاكم (٤/ ٤٤٩)، وابن أبي شيبة (٦/ ٣١١)، والبغوي (٤٠١٥).

(٢) صحيح: رواه أبو يعلى، والطبراني في «الكبير»، والضياء عن خالد الخزاعي، وأحمد والترمذي، والنسائي، وابن حبان، والضياء عن خبّاب، وصححه الألباني في «صفة الصلاة» ص(١٠١)، و«صحيح الجامع» رقم (٢٤٣٣).

(٣) صحيح: رواه أبو داود في كتاب الملاحم ـ باب ارتفاع الفتنة في الملاحم رقم (٤٣٠١)، وأحمد (٦/ ٢٦)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٢٢١)، و«تخريج المشكاة» (٥٧٥٦).

(١٠) سياحة هذه الأمة ورهبانيتها الجهاد في سبيل الله:

● عن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ أن رجلاً قال: يا رسول الله ائذن لي في السياحة، قال النبي ﷺ: «**إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله عز وجل**»[١].

● وعن أبي سعيد أن رجلاً جاء فقال: أوصني، فقال أبو سعيد: سألت عمّا سألتُ عنه رسول الله ﷺ من قبلك فقال: «**أوصيك بتقوى الله، فإنه رأس كل خير، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام، وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن فإنه روحك في السماء وذكرك في الأرض**»[٢].

(١١) هذه الأمة أمة مرحومة:

● قال رسول الله ﷺ: «**أمتي هذه أمة مرحومة، ليس عليها عذاب في الآخرة، إنما عذابها في الدنيا الفتن والزلازل والقتل والمصائب**»[٣].

● وقال رسول الله ﷺ:

«**إن الله تعالى إذا أراد رحمة أمة من عباده قبض**[٤] **نبيها قبلها، فجعله لها**

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود في «سننه» انظر «عون المعبود» (٧/ ١٦٤)، والحاكم في كتاب الجهاد (٢/ ٧٣).

(٢) حسن: أخرجه أحمد في «مسنده» (٣/ ٨٢)، وأخرجه بنحوه مختصراً أبو يعلى (١٠٠٠) والطبراني في «الصغير» (٩٤٩)، والخطيب في «التاريخ» (٧/ ٣٩٢ ـ ٣٩٣)، والحديث حسنه الألباني في «الصحيحة» (٥٥٥)، و«صحيح الجامع» رقم (٢٥٤٣).

(٣) صحيح: رواه أبو داود في كتاب السنن والملاحم (٤٢٧٨)، والطبراني في «الكبير»، والحاكم (٤/ ٤٤٤)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٣٨، ٣٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان»، وقال الحاكم: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي. وصحّحه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٩٥٩)، و«صحيح الجامع» (١٣٩٦).

(٤) توفّي.

فرطًا[١] وسلفًا[٢] بين يديْها، وإذا أراد هلكة أمة عذّبها ونبيها حيٌّ فأهلكها وهو ينظر فأقرّ عينه بهلكتها حين كذّبوه وعصوْا أمره»[٣] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : «إن هذه الأمة أمة مرحومة، عذابها بأيديها[٤] ، فإذا كان يوم القيامة دفع إلى كل رجل من المسلمين رجل من المشركين، فيُقال: هذا فداؤك من النار»[٥] .

● وقال ﷺ : « جعل اللَّه عذاب هذه الأمة في دنياها»[٦] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : «عقوبة هذه الأمة بالسيف»[٧] .

● وقال ﷺ : «إن عذاب هذه الأمة جُعل في دنياها»[٨] .

---

(١) أي شفيع يتقدم.

(٢) أي مقدمًا، وفائدة التقديم الأنس والاطمئنان.

(٣) أخرجه مسلم عن أبي موسى. وهذا الحديث ممّا وقع في «مسلم» (٧/ ٦٥) معلقًا، وهي أربعة عشر حديثًا، لكن وصله أبو يعلى والحاكم وغيرهما كما أوضحه الشيخ الألباني في كتابه «مختصر صحيح مسلم» (٣١٦٤).

(٤) أي أنها يقتل بعضها بعضًا فيكون ذلك كفارة لذنوبهم.

(٥) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه في «سننه» عن أنس، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم(١٣٨١) و«صحيح الجامع» رقم(٢٢٦١).

(٦) **صحيح**: رواه الطبراني في «الكبير» عن عبد اللَّه بن زيد، ورواه الحاكم في «المستدرك»، والخطيب في التاريخ، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم(٩٥٩)، و«صحيح الجامع» (٣٠٩٦).

(٧) **صحيح**: أخرجه الطبراني في «الكبير» عن رجل، والخطيب في «تاريخه» عن عقبة بن مالك، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم(١٣٤٧)، و«صحيح الجامع» (٤٠١٧).

(٨) **صحيح**: أخرجه الحاكم في «المستدرك» عن عبد اللَّه بن يزيد، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٩٥٩)، و«صحيح الجامع» (٢١٠٩).

● وعن أبي موسى الأشعري مرفوعًا: «**إذا كان يوم القيامة دفع اللَّه عز وجل إلى كل مسلم يهوديًّا أو نصرانيًّا فيقول: هذا فكاكك من النار**»(١).

● وفي رواية: «**لا يموت رجل مسلم إلا أدخل اللَّه مكانه في النار يهوديًّا أو نصرانيًّا**»(٢).

● وعن أبي موسى ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إذا كان يوم القيامة أعطى اللَّه تعالى كل رجل من هذه الأمة رجلاً من الكفار فيُقال له: هذا فداؤك من النار**»(٣).

● وعن أبي موسى ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إذا كان يوم القيامة بعث اللَّه إلى كل مؤمن مَلَكًا معه كافر، فيقول المَلَك للمؤمن: يا مؤمن هاك هذا الكافر، فهذا فداؤك من النار**»(٤).

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «**ما من أمة إلا وبعضها في النار، وبعضها في الجنة، إلا أمتي فإنها كلها في الجنة**»(٥).

(١٢) الكافر فداء للمسلم يوم القيامة:

● وعن أبي موسى ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١٧/ ٨٥ ـ ٨٦)، والبغوي (٤٣٢٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٣٦٣)، وأبو نعيم في «تاريخ أصبهان» (٢/ ٨٠)، وأبو يعلى (٧٢٦٨)، وبحشل في «تاريخ واسط» ص(١٩٩).

(٢) رواه مسلم عن أبي موسى.

(٣) رواه مسلم.

(٤) صحيح: رواه الطبراني في «المعجم الكبير»، والحاكم في «الكنى» عن أبي موسى، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم(١٣٨١)، و«صحيح الجامع» (٧٧٩).

(٥) صحيح: رواه الخطيب البغدادي في تاريخه عن ابن عمر، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم(٥٦٩٣).

«إذا كان يوم القيامة بعث اللَّه إلى كل مؤمن مَلَكًا معه كافر، فيقول المَلَك للمؤمن: يا مؤمن هاك هذا الكافر، فهذا فداؤك من النار»

● وعن أبي موسى عن النبي ﷺ: «يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال فيغفرها اللَّه لهم ويضعها على اليهود والنصارى»[1].

❑ قال النووي: «إن اللَّه يغفر تلك الذنوب للمسلمين ويسقطها عنهم، ويضع على اليهود والنصارى مثلها بكفرهم وذنوبهم فيدخلهم النار بأعمالهم لا بذنوب المسلمين، ولا بد من هذا التأويل لقوله تعالى: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ٣٨]. وقد مرت بك الأحاديث.

(١٣) ومن الخصائص العظيمة لهذه الأمة كونها في خير القرون:

لأن النبي ﷺ بُعِث في خير القرون.

● فعن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ مرفوعًا: «بُعِثت من خير قرون بني آدم قرنًا فقرنًا حتى كنتُ من القرن الذي كنتُ منه»[2].

● وقال ﷺ: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته»[3].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٥٧)، وأحمد (٢/ ٣٧٣، ٤١٧)، وأبو يعلى (١١/ ٦٥٥٣)، وابن سعد في الطبقات (١/ ٢٥)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٣١)، والبيهقي في «الدلائل» (١/ ١٧٥) والبغوي (٤/ ٣٦).

(٣) أخرجه البخاري (٢٦٥٢، ٣٦٥١، ٦٤٢٩)، ومسلم (٢٥٣٣)، والترمذي (٣٨٥٩)، وابن ماجه (٢٣٦٢)، وابن حبان (٧١٧٨، ٧١٧٩)، وفي «الثقات» (٤/ ١ ـ ٣)، وأحمد (١/ ٣٧٨، ٤١٧، ٤٣٤، ٤٣٨، ٤٤٢)، والطيالسي (٢٩٩)، وابن أبي عاصم (١٤٦٦، ١٤٦٧)، وأبو يعلى (٩/ ٥١٠٣، ٥١٤٠)، والطبراني في «الكبير» (١٠٣٣٧، =

(١٤) أمة رضي الله لها اليسر وكره لها العسر:

* قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، و قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ [النساء: ٢٨].

● قال ﷺ: «إن الله تعالى رضي لهذه الأمة اليُسْر وكره لها العسر»[١] قاله ثلاثًا، وفي رواية: «إنكم أمة أُريد بكم اليسر»[٢].

* قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

▣ قال ابن كثير: «أي: أنه جاءَ بالتيسير والسماحة كما ورد الحديث من طرق عن رسول الله ﷺ أنه قال: «بُعثت بالحنيفية السمحة»[٣].

▣ وقال ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٢٣٤): «وقد كانت الأمم الذين قبلنا في شرائعهم ضيِّق عليهم، فوسّع الله على هذه الأمة أمورها وسهلها لهم».

وقد ثبتت أحاديث كثيرة في أن الله رفع الحرج عن هذه الأمة.

= ١٠٣٣٨)، والبيهقي في «السنن» (١٠/ ١٢٢، ١٦٠)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٣٤)، والخطيب في «التاريخ» (١٢/ ٥٣) عن ابن مسعود.

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٥/ ٣٢)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ برقم ٧٠٧)، والحافظ في «المطالب» رقم(٥٤٣)، والواحدي في «الوسيط»، عن محجن بن الأدرع وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٦٣٥).

(٢) إسناده صحيح: أخرجه أحمد (٥/ ٣٢).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٢٣٤)، والحديث سبق تخريجه.

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «**عباد اللَّه، إن اللَّه وضع الحرج**»[١].

❑ قال النووي ـ رحمه اللَّه ـ: «وفي أحاديث الباب بيان ما أكرم اللَّه تعالى به هذه الأمة ـ زادها اللَّه شرفا ـ وخفّفه عنهم مما كان على غيرهم من الإصر وهو الثقل والمشاق».

فرحم اللَّه هذه الأمة وخفّف عنها، وجعل شريعتها سمحة لا يكلّفهم إلا ما يطيقون.

ولقد ذكر القاسمي بحثًا عامرًا وذكر الأصرار والأغلال التي كانت على بني إسرائيل عند قوله تعالى: ﴿**رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا**﴾، في تفسيره «محاسن التأويل» (١/ ٣٩٢ ـ ٣٩٨).

(١٥) العفو عن حديث النفس والوسوسة والهاجس والخاطرة:

ومن كرم اللَّه الفيّاض ورحمته الواسعة لأمتنا العظيمة أن رفع عنها المحاسبة على الوسوسة وحديث النفس.

● فعن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن اللَّه تجاوز لي عن أمتي ما وسوست به صدورها ما لم تعمل أو تكلّم**»[٢].

● وعن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن اللَّه تجاوز لأمتي عما توسوس به صدورهم ما لم تعمل أو تتكلم به**

---

(١) **إسناده صحيح**: أخرجه أبو داود الطيالسي (١٢٣٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١/ ١٧٩) بإسناد صحيح.

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» في كتاب العتق «الفتح» (٥/ ١٦٠)، وفي كتاب «الطلاق» (٩/ ٣٨٨)، وأحمد والنسائي، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٦١)، (٧/ ٢٩٨).

وما استُكرِهوا عليه»[١] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : «**إن اللَّه تعالى تجاوز لأمتي عما حدّثت به أنفسها، ما لم تتكلم به، أو تعمل به**»[٢] .

● وعن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: «لما نزلت على رسول اللَّه ﷺ : ﴿ **للَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [البقرة: ٢٨٤]. قال: فاشتد ذلك على أصحاب رسول اللَّه ﷺ ، فأتوا رسول اللَّه ﷺ ، ثم بركوا على الرُّكب، فقالوا: أيْ رسول اللَّه، كُلِّفنا من الأعمال ما نطيق، الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أُنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها. قال رسول اللَّه ﷺ : «**أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابيْن من قبلكم ﴿ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾، بل قولوا: ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾**، قالوا: ﴿ **سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ** ﴾ ، فلما اقترأها القوم ذلَّت بها ألسنتهم، فأنزل اللَّه في إثرها ﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ** ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، فلما فعلوا ذلك نسخها اللَّه تعالى، فأنزل اللَّه عز وجل: ﴿ **لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا**

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجه في كتاب «الطلاق» (٢٠٤٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٦١)، عن أبي هريرة. وصححه الألباني في «الإرواء» (٢٠٦٢) و«صحيح الجامع» (١٧٢٩).

(٢) رواه البخاري ومسلم وأصحاب السنن الأربعة عن أبي هريرة، ورواه الطبراني في «الكبير» عن عمران بن حصين.

وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ قال: نعم، ﴿ رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ﴾ قال: نعم، ﴿ رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ قال: نعم ﴿ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ قال: نعم»[1].

(١٦) ومن خصائص هذه الأمة أن الله عفا عنها ما وقعت فيه بسبب الخطأ والنسيان والإكراه:

● قال رسول اللَّه ﷺ: «إن اللَّه وضع عن أمتي الخطأ، والنسيان، وما استكرهوا عليه»[2].

● وفي رواية: «وُضع عن أمتي الخطأ، والنسيان، وما استكرهوا عليه»[3].

❑ قال ابن حجر: حديث جليل. قال بعض العلماء: ينبغي أن يعد نصف الإسلام.

● قال رسول اللَّه ﷺ: «إن اللَّه تعالى تجاوز لي عن أمتي الخطأ، والنسيان، وما استكرهوا عليه»[4].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) **صحيح بمجموع الطرق**: أخرجه ابن ماجه (١/ ٥٦٩) (٢٠٤٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٣٥٧).

(٣) **صحيح**: أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٦/ ٨٣).

(٤) **صحيح**: أخرجه أحمد، وابن ماجه (٢٠٤٣) عن أبي ذر، وأخرجه الطبراني في «الكبير» (١٤٣٠) عن ثوبان، وأخرجه ابن ماجه (٢٠٤٥)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ١٩٨)، وابن حبان (٧١٧٥)، والطبراني في «الكبير» وفي «الصغير» (٧٦٥)، والبيهقي (٧/ ٣٥٦)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٣/ ٩٥)، والدارقطني (٤/ ٧١٠ - ٧١١)، وعزاه الحافظ في «الفتح» (٥/ ١٦١) إلى الفضل بن جعفر التيمي في «فوائده»، وعزاه الشيخ الألباني في «الإرواء» (٨٢) إلى ابن حزم في «الإحكام في أصول الأحكام» (٥/ ١٦١)، عن ابن عباس، وهذا سند رجاله ثقات. وصححه الألباني في «الإرواء» (٨٢)، و«تخريج المشكاة» (٦٢٩٣)، و«صحيح الجامع» (١٧٣١).

❑ قال الحافظ في «الفتح» (١١/ ٥٢): «وفي الحديث إشارة إلى عظيم قدر الأمة المحمدية لأجل نبيها ﷺ لقوله: «تجاوز لي» وفيه إشعار باختصاصها.

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «**رفع اللَّه عن هذه الأمة الخطأ، والنسيان، والأمر يُكرهون عليه**»[١].

(١٧) ومن خصائص هذه الأمة: التيمم:

فقد فضّلها اللَّه به على من سبقها فإنه لم يُشرع في حقهم التيمم، كما في حديث رسول اللَّه ﷺ: «**وجُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً**»[٢].

❑ قال الحافظ في «الفتح»[٣]: «طهوراً» استدل به على أن الطهور هو المطهر لغيره؛ لأن الطهور لو كان المراد به الطاهر لم تثبت به الخصوصية، والحديث إنما سيق لإثباتها، وقد روى ابن المنذر وابن الجارود بإسناد

---

(١) **صحيح**: أخرجه ابن عدي (٢/ ٥٧٣)، وعزاه في «كشف الخفاء» (١٣٩٣) إلى أبي نعيم في «تاريخ أصبهان» وقد ضعّف الحديث أبو حاتم انظر «جامع العلوم والحكم» ص(٤٥٢ ـ ٤٥٣)، و«الإصابة» (٢/ ٦٥ ـ ٦٦)، وضعّفه العراقي في كلامه على «المنهاج» للبيضاوي (٣٠) ولكن قوّاه السخاوي في «المقاصد الحسنة» (٢٣٠)، وأشار إلى ذلك الحافظ في «الفتح» (٥/ ١٦١)، والعجلوني في «كشف الخفاء» (١٣٩٣)، وصححه الألباني في «الإرواء» (٨٢).

(٢) أخرجه البخاري في «كتاب التيمم»، «الفتح» (١/ ٢٣٥)، وفي «كتاب الصلاة» «الفتح» (١/ ٥٣٣)، وفي «كتاب الخمس» (٦/ ٢٢٠)، ومسلم (٤/ ١٢٣)، وأحمد (٥/ ١٦١ ـ ١٦٢)، والترمذي (٤/ ١٢٣)، والدارمي (١/ ٣٢٣)، وعبد بن حُميد في «المنتخب» رقم(٤٦٢) (١/ ٥٥٠ ـ ٥٥١).

(٣) «فتح الباري» (١/ ٤٣٥).

صحيح عن أنس مرفوعًا: «**جُعلت لي كل أرض طيبة مسجداً وطهوراً**»(١).

● وعن أبي أمامة ـ رضي اللَّه عنه ـ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**فضّلني ربي على الأنبياء ـ عليهم السلام ـ** أو قال: **على الأمم ـ بأربع**، وقال: «**وأرسلت إلى الناس كافة وجُعلت الأرض كلها لي ولأمتي مسجداً وطهوراً فأيْنَما أدرك رجلاً من أمتي الصلاة فعنده مسجده وعنده طهوره، ونصرت بالرعب مسيرة شهر يقذفه اللَّه في قلوب أعدائي، وأُحل لنا الغنائم**»(٢).

(١٨) إحلال الغنائم لهذه الأمة وكانت حرامًا على أهل الكتاب:

قد أحلّ اللَّه الغنائم لهذه الأمة وخصّها بها، وكانت الغنائم في الأمم الكتابية قبلنا تُجمع فتنزل نار من السماء فتحرقها، فرحم اللَّه هذه الأمة فجعلها تستمتع بالغنائم لمّا رأى ضعفها وعجزها.

● عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**لم تحلّ الغنائم لأحد سود الرُّءوس من قبلكم كانت تنزل نار من السماء فتأكلها**»(٣).

● وعن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه: لا يتبعني رجل ملك بُضع امرأة، وهو يريد أن يبني بها ولما يبن بها، ولا أحد بنى بيوتًا ولم يرفع سقوفها، ولا آخراً اشترى غنمًا**

(١) أخرجه ابن الجارود في «المنتقى» وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٢٤٨) وإسناده حسن من أجل سيّار الأموي وهو (صدوق) والحديث صحيح.

(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد (٢/ ٢٥٢، ٣١٧، ٣١٨)، والترمذي وأبو داود الطيالسي (٢٤٢٩)، وابن حبان «موارد الظمآن» (٤٠٢)، والطحاوي، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم(٢١٥٥)، و«صحيح الجامع» رقم(٥١٩٦).

أو خلفات، وهو ينتظر ولادها، فغزا فدنا من القرية صلاة العصر أو قريبًا من ذلك فقال للشمس: إنك مأمورة وأنا مأمور، اللَّهم احبسها علينا، فحُبست حتى فتح اللَّه عليهم، فجمع الغنائم فجاءت ـ يعني النار ـ لتأكلها فلم تطعَمها فقال: إن فيكم غُلولا، فليبايعني من كل قبيلة رجل، فلزقت يد رجل بيده فقال: فيكم الغلول، فجاءوا برأس بقرة من الذهب، فوضعوها، فجاءت النار فأكلتها، ثم أحل اللَّه لنا الغنائم، رأى ضعفنا وعجزنا فأحلّها لنا»[1].

● وعن جابر بن عبد اللَّه ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «أُعطيت خمسًا لم يُعطهن أحد من الأنبياء قبلي، نُصرت بالرعب مسيرة شهر، وجُعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا فأيُّما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصلّ، وأُحلت لي الغنائم ولم تحلّ لأحد قبلي، وأُعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبُعثت إلى الناس عامة»[2].

❑ قال الحافظ ابن حجر: «وفيه اختصاص هذه الأمة بحلّ الغنيمة، وكان ابتداء ذلك من غزوة بدر».

(١٩) جَعْلُ الأرض مسجداً لها وطهوراً:

وهذا من تفضيل اللَّه لهذه الأمة على غيرها كما جاء في حديث جابر السابق ذكره.

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» ـ كتاب الخمس باب قول النبي ﷺ: «أحلّت لكم الغنائم» (٦/ ٢٢٠)، وفي «النكاح» باب من أحب البناء قبل الغزو (٩/ ٢٢٣)، ومسلم (٣/ ١٣٦٦) كتاب «الجهاد والسير»، وأحمد (٢/ ٣١٨).

وهذا النبي هو يوشع بن نون، فإن الشمس لم تحبس لأحد إلا له ليالي سار إلى بيت المقدس كما جاء في الحديث الصحيح.

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٤٣٥)، (١/ ٥٣٣)، (٦/ ٢٢٠)، ومسلم (١/ ٣٧٠)، والنسائي (١/ ٢١٠)، والترمذي (٤/ ١٢٣)، والدارمي (١/ ٣٢٣)، وأحمد (٥/ ١٦١ ـ ١٦٢).

● قوله ﷺ : «جُعلت لي الأرض مسجدًا».

❑ قال الحافظ في «الفتح» (١/ ٤٣٦): « أي موضع سجود لا يختص منها بموضع دون غيره»[١] .

وكان من قبلنا إنما يُصلون في كنائسهم وبيعهم، كما جاء في حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ابن عمرو ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: «إن رسول اللَّه ﷺ عام غزوة تبوك قام يصلي فاجتمع وراءه رجال من أصحابه يحرسونه حتى إذا صلى وانصرف إليهم، فقال لهم: **«لقد أعطيت الليلة خمسًا ما أُعْطِيهنَّ أحد قبلي، أما أنا فأُرسلت إلى الناس كلهم عامة، وكان من قبلي إنما يُرسل إلى قومه، ونُصِرت على العدو بالرعب، ولو كان بيني وبينهم مسيرة شهر لملئ منه رعبًا، وأُحلت لي الغنائم آكلها، وكان من قبلي يعظمون أكلها، كانوا يحرقونها، وجعلت لي الأرض مساجد وطهورًا، أينما أدركتني الصلاة تمسحت وصليت، وكان من قبلي يُعظّمون ذلك، إنما كانوا يصلون في كنائسهم وبيعهم، والخامسة هي ما هي؟ قيل لي: سل، فإن كل نبي قد سأل ، فأخّرت مسألتي إلى يوم القيامة فهي لكم ولمن شهد أن لا إله إلا اللَّه»**[٢] .

---

(١) إلا ما استثناه الشارع من الأماكن التي يحرم فيها الصلاة.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٢٢٢)، وإسناده حسن.

ولقد قال ابن التين كما ذكره عنه الحافظ في «الفتح» (١/ ٤٣٦): «جُعلت لي الأرض مسجدا وطهورًا، وجُعلت لغيري مسجدا، ولم تجعل له طهورًا. لأن عيسى كان يسيح في الأرض ويصلي حيث أدركته الصلاة.

قال الحافظ: «كذا قال وسبقه إلى ذلك الداودي». ورجح الحافظ قول الخطّابي واستظهره.

قال الحافظ في «الفتح» (١/ ٤٣٧): «ويؤيده رواية عمرو بن شعيب بلفظ «وكان من قبلي إنما كانوا يصلون في كنائسهم». وهذا نص في موضع النزاع، فثبت الخصوصية، ويؤيده ما أخرجه البزار من حديث ابن عباس وفيه: «ولم يكن من الأنبياء أحد يصلي حتى يبلغ محرابه».

(٢٠) صفوف الأمّة في الصلاة كصفوف الملائكة:

وهذه خاصية لأمة الحبيب ﷺ ما شاركتهم فيها أمة من الأمم كاليهود والنصارى وغيرهم.

● فعن حذيفة ـ رضي اللَّه عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**فُضِّلنا على الناس بثلاث: جُعلت صفوفنا كصفوف الملائكة، وجعلت لنا الأرض كلها مسجداً، وجُعلت تربتها لنا طهوراً إذا لم نجد الماء، وأعطيت هذه الآيات من آخر سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يُعطها نبي قبلي**»[1].

● وعن أبي الدرداء ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**فُضِّلت بأربع: جُعلت أنا وأمتي في الصلاة كما تَصُفُّ الملائكة، وجُعل الصعود لي وضوءاً، وجُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأُحلّت لي الغنائم**».

ونقل المناوي في «فيض القدير» (٤/ ٤٣٩): عن الزين العراقي أنه قال: المراد التراص وإتمام الصفوف الأول فالأول في الصلاة، فهو من خصائص هذه الأمة، وكانت الأمم السابقة يُصلون منفردين وكل واحد على حدة. انتهى.

(٢١) وفضلها الله بصلاة العشاء ولم تصلها أمة قبلنا:

● فعن معاذ بن جبل ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**أعتموا بهذه الصلاة فإنكم قد فُضِّلتم بها على سائر الأمم ولم تصلّها أمة قبلكم**».

---

(١) أخرجه مسلم (٥٢٢) في كتاب «المساجد ومواضع الصلاة» (١/ ٣٧١)، بدون ذكر الثالثة، وكذا أبو عوانة (١/ ٣٠٣)، وأخرجه بها ابن حبان (١٦٩٧، ٦٣٦٦)، وابن خزيمة (٢٦٣، ٢٦٤)، وأحمد (٥/ ٣٨٣)، والطيالسي (٤١٨)، وابن أبي شيبة (٦/ ٣٤)، والفريابي في «فضائل القرآن» ص(٥٣ ـ ٥٥)، والآجري في «الشريعة» ص(٤٩٨، ٤٩٩)، واللالكائي (١٤٤٥).

«وأعتموا بها»: أي صلوها بعد ما تدخلون في الظلمة. وهذه الصلاة هي صلاة العشاء.

وهذا الحديث لا يعارض حديث ابن عباس المرفوع: «هذا وقت الأنبياء من قبلك»، فقد جمع بينهما الطيبي في «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٢/ ٥٢):

«إن صلاة العشاء كانت تصليها الرسل نافلة لهم: أي زائدة ولم تكتب على أممهم كالتهجد، فإنه وجب على رسول اللَّه ﷺ ولم يجب علينا».

● وعن عبد اللَّه بن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: مكثنا ذات ليلة ننتظر رسول اللَّه ﷺ صلاة العشاء الآخرة، فخرج إلينا حين ذهب ثلث الليل أو بعده فلا ندري: أي شيء شغله في أهله أو غير ذلك؟ فقال حين خرج: «**إنكم لتنتظرون صلاة ما ينتظرها أهل دين غيركم، ولولا أن يثقل على أمتي لصليت بهم هذه الساعة**» ثم أمر المؤذن، فأقام الصلاة وصلى»[1].

(٢٢) ستر الله على أعمالهم بالقبول أو الردّ:

❑ قال الإمام العز بن عبد السلام: «إن اللَّه ستر على من يتقبل عمله من أمّته، وكان مَن قَبْلَهم يُقرّبون القرابين، فتأكل النار ما تُقُبِّل منها وتدع ما لم يتقبّل فيصبح مفتضِحًا»[2].

(١) أخرجه البخاري (١/ ١٤٨ ـ ١٤٩)، ومسلم في «صحيحه» (١/ ٤٤٢) كتاب «المساجد ومواضع الصلاة»، والنسائي (٥٣٧)، والترمذي انظر «التحفة» (٢/ ٥٦)، وأحمد (٦/ ٢١٥)، والدارمي (١/ ٢٧٦)، والبيهقي (١/ ٣٧٤).

(٢) بداية السول في تفضيل الرسول ﷺ ص(٧٠).

قال محدث ديار الشام الشيخ الألباني ـ رحمه اللَّه تعالى ـ يشير إلى ما جاء في المأثور عن السلف في تفسير قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[1] [المائدة: ٢٧]:

وقد حكى اللَّه عن اليهود ما يدل على أنه كان من المعروف عندهم قصة النار هذه، فقد قال تعالى فيهم: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٨٣].

* فقوله تعالى: ﴿وَبِالَّذِي قُلْتُمْ﴾: صريح بأن الأنبياء كانوا يُقدّمون إلى بني إسرائيل آيات بينات على صدقهم منها هذه النار التي تأكل القرابين.

فستر اللَّه على أعمال هذه الأمة ولم يفضحها إن حدثت منهم معاصي، ويحلم عليهم، فما أكرمه من جواد علا على كل من جاد، وبه جاد من جاد.

(٢٣) صلاة الأنبياء خلف صالحي هذه الأمة:

أكرم اللَّه هذه الأمة بأن جعل عيسى ابن مريم عندما ينزل آخر الزمان وهو رسول يكون مأمومًا وراء المهدي، وهو ولي كما جاء في حديث جابر بن عبد اللَّه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة**» قال: «**فينزل عيسى ابن مريم**

(١) انظر إلى ابن جرير في «التفسير» (١٧١٥) (١٠/ ٢٠٦ ـ ٢٠٧)، وفي «التاريخ» (١/ ٦٨، ٦٩) عن ابن عباس وابن مسعود. وموضع الشاهد منها في حكم المرفوع لاتفاق الصحابة، وعزاه ابن كثير في «التاريخ» (١/ ٩٢)، لأئمة السلف.

ﷺ فيقول أميرهم: تعال صلّ لنا، فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة اللَّه لهذه الأمة»[١].

● وعند أحمد: «...ليكرم اللَّه هذه الأمة»[٢].

● وفي لفظ: «لتكرمة اللَّه هذه الأمة»[٣].

وقد مرّ بك حديث رسول اللَّه ﷺ: «منا الذي يصلي عيسى ابن مريم خلفه»[٤].

وصحّ أن النبي ﷺ صلى الصبح خلف عبد الرحمن بن عوف، واختلف أهل العلم في صلاة النبي ﷺ خلف أبي بكر ـ رضي اللَّه عنه ـ والراجح كما قال الحافظ في «الفتح» (٢/ ١٧٥): «صحّ أنه صلى خلف أبي بكر»، وذلك لحديث عائشة الذي أخرجه البخاري[٥].

(٢٤) أمة اختصها الله بالسلام والتأمين فحسدتها على ذلك اليهود:

● قال رسول اللَّه ﷺ: «ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على السلام والتأمين»[٦].

والسلام هو تحية أهل الجنة: تحية اللَّه لهم، وتحية الملائكة لهم،

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ١٢٣٧)، وأحمد (٣/ ٣٤٥ ـ ٣٤٨)، وابن حبان (٦٧٨٠)، وابن الجارود في «المنتقى».

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٣٤٥) وهو حديث صحيح.

(٣) رواه ابن الجارود انظر «الغوث» (١٠٣١) وإسناده صحيح.

(٤) سبق تخريجه وهو صحيح. انظر «صحيح الجامع» (٥٧٩٦).

(٥) انظر «فتح الباري» (٢/ ١٥١).

(٦) أخرجه أحمد، وابن ماجه (٨٥٦)، وصححه الألباني في «صفة الصلاة» باب التأمين وجهر الإمام به (٥٥)، وأخرجه البخاري في «الأدب المفرد (٢/ ٤٤٩).

وتحية بعضهم لبعض.

* قال تعالى: ﴿ وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴾ [إبراهيم: ٢٣].

قال القرطبي: «أي: تحية اللَّه لهم، أو تحية الملك أو تحية بعضهم لبعض: سلام»[١].

* قال تعالى: ﴿ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾.

● وحديث أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - عن النبي ﷺ قال: **«خلق اللَّه آدم على صورته، طوله ستون ذراعًا، فلما خلقه، قال: اذهب فسلم على أولئك نفر من الملائكة جلوس، فاستمع ما يحيونك، فإنها تحيتك، وتحية ذريتك، فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة اللَّه. فزادوه: ورحمة اللَّه. فكل من يدخل الجنة على صورة آدم، فلم يزل الخلق ينقص بعد حتى الآن»**[٢].

ورجح الحافظ في «الفتح»: أن الذرية هم المسلمون، فقال: عند قول الرسول ﷺ: **«تحيتك وتحية ذريتك»**، «والمراد بالذرية بعضهم وهم المسلمون»[٣].

● **وقال رسول اللَّه ﷺ: «إن اليهود قوم حُسَّد، وإنهم لا يحسدوننا على شيء كما يحسدوننا على السلام وعلى «آمين»**[٤].

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (٨/ ٣١٣).

(٢) رواه البخاري.

(٣) «فتح الباري» (١١/ ٤).

(٤) **إسناده حسن**: أخرجه ابن خزيمة في «صحيحه» رقم(٥٧٤)، وأخرجه مختصرًا البخاري في «الأدب المفرد» (٩٨٨)، وابن ماجه (٨٥٦).

❑ قال ابن حجر: «وهو يدل على أنه شرع لهذه الأمة دونهم».

● وقال ﷺ: «**إن اليهود ليحسدونكم على السلام والتأمين**»[١].

وفي حديث إسلام أبي ذر: «وجاء رسول اللَّه ﷺ فذكر الحديث وفيه: «**فكنت أوّل من حيّاه بتحية الإسلام**»، فقال: «وعليك السلام ورحمة اللَّه»[٢].

أما التأمين فمصدر أمَّن بالتشديد، أي: قال: آمين.

❑ قال الحافظ: معناها: «اللَّهم استجب عند الجمهور، وقيل غير ذلك مما يرجع جميعه إلى هذا المعنى»[٣].

(٢٥) السحور.. «الفلاح».. «الغذاء المبارك» فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب:

● عن عمرو بن العاص ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**فَصْل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السَّحَر**»[٤].

❑ قال النووي: معناه: الفارق والمميز بين صيامنا وصيامهم السحور فإنهم لا يتسحرون، ونحن يستحب لنا السحور، وأكلة السَّحَر هي السحور»[٥] انتهى.

---

(١) **صحيح**: رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١١/ ٤٣)، وأبو نعيم في «أحاديث مشايخ أبي القاسم الأصم» (٣٥/ ١)، و«الضياء» عن أنس، وابن خزيمة وأبو نعيم عن عائشة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم(١٩٩٧)، و«الصحيحة» رقم(٦٩١، ٦٩٢).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ١٩١٩)، وأحمد (٥/ ١٧٥)، والدارمي (٢/ ١٨٩)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢/ ٤٨٤).

(٣) «فتح الباري» (١/ ٣٨).

(٤) أخرجه أحمد، ومسلم (٧/ ٢٠٧)، والترمذي، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه.

(٥) «صحيح مسلم» بشرح النووي (٧/ ٢٠٧).

● وعن عبد اللَّه بن الحارث عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: دخلت على النبي ﷺ وهو يتسحر فقال: «**إنها بركة أعطاكم اللَّه إياه فلا تدعوه**»[١].

❑ قال القاضي عياض عن السحور: «هو ما اختصت به هذه الأمة في صومها»[٢] انتهى.

❑ قال السيوطي: «أعطاكم اللَّه: أي ندبكم إليه أو خصكم بإباحته دون أهل الكتاب»[٣] انتهى.

❑ وقال المناوي: «أي خصكم بها على جميع الأمم» انتهى.

(٢٦) أمة خصّها الله بيوم الجمعة سيد الأيام:

● قال رسول اللَّه ﷺ: «**أضل اللَّه عن الجمعة من كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وكان للنصارى يوم الأحد، فجاء اللَّه بنا، فهدانا ليوم الجمعة، فجعل الجمعة والسبت والأحد، وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة نحن الآخرون من أهل الدنيا، والأولون يوم القيامة المقضيّ لهم قبل الخلائق**»[٤].

وفي لفظ مسلم أيضًا: «**هُدينا إلى الجمعة، وأضلّ اللَّه عنها من كان قبلنا**»[٥].

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «**نحن الآخرون السابقون بَيْد أنهم أُوتوا**

---

(١) صحيح: أخرجه النسائي في كتاب «الصيام فضل السحور» (٤/ ١٤٥)، وجهالة الصحابي لا تضر لأن الصحابة كلهم عدول.

(٢) «سنن النسائي» بشرح السيوطي (٤/ ١٤٥ ـ ١٤٦).

(٣) المصدر السابق.

(٤) أخرجه مسلم (٢/ ٥٨٦) برقم(٨٥٦)، وابن ماجه (١٠٨٣)، (١/ ٣٤٤).

(٥) مسلم (٢/ ٥٨٦).

الكتاب من قبلنا وأُوتيناه من بعدهم، وهذا اليوم الذي كتب اللَّه عز وجل عليهم فاختلفوا فيه، فهدانا اللَّه عز وجل له ـ يعني يوم الجمعة ـ فالناس لنا فيه تبع، اليهود غدًا والنصارى بعد غد»[1].

❑ قال ابن بطّال: إنما يدل واللَّه أعلم أنه فُرِض عليهم يوم الجمعة ووُكِّل على اختيارهم ليقيموا فيه شريعتهم فاختلفوا فيه، أيّ الأيام هو؟ ولم يهتدوا ليوم الجمعة.

❑ وقال النووي: يمكن أن يكونوا أمروا به صريحًا فاختلفوا هل يلزم تعيينه أو يسوغ إبداله فاجتهدوا في ذلك فأخطئوا.

أي إفضال وإنعام يعطيه اللَّه لهذه الأمة حين يخصّها بهذا العيد؟!

● عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ أن رسول اللَّه ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال: «**فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو يُصلي يسأل اللَّه فيها شيئًا إلا أعطاه إياه**» وأشار رسول اللَّه ﷺ بيده يُقللها[2].

فللَّه ما أحلى الجمعة من يوم وما أعظم فضل أهلها يوم القيامة.

● عن أبي موسى الأشعري ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن اللَّه يبعث الأيام يوم القيامة على هيئتها، ويبعث يوم الجمعة زهراء**

---

(١) أخرجه البخاري (٢٣٨، ٨٧٦، ٢٩٥٦، ٦٨٨٧، ٧٤٩٥)، ومسلم (٨٥٥)، (١/ ٥٨٥) والنسائي (١٣٦٧)، وأحمد (٢/ ٢٤٣، ٢٤٩)، وابن خزيمة (٣/ ١٠٩)، وأبو يعلى (٦٢٦٩)، والبغوي في «شرح السنة» (٢٤٧٧).

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ٤١٥، ٩/ ٤٣٦، ١١/ ١٩٩)، ومسلم رقم(٨٥٢)، والنسائي (٣/ ١١٥)، وابن ماجه (١/ ٣٤٩)، وأبو داود (١٠٤٦)، والترمذي (٣٣٣٩)، وأحمد (٢/ ٢٣٠ ـ ٢٥٥، ٢٧٧، ٢٧٢، ٢٨٠، ٢٨٤، ٣١٢..)، وعبد الرزاق (٥٤٥٧١)، والبيهقي في «سننه» (٣/ ٢٤٩ ـ ٢٥٠)، والبغوي في «شرح السنة»، وابن الجارود في «المنتقى»، وابن السني في عمل اليوم والليلة.

مُنيرة، أهلها يحفّون بها كالعروس تُهدى إلى كريمها، تضيء لهم يمشون في ضوئها، ألوانهم كالثلج بياضًا، وريحهم يسطع كالمسك، يخوضون في جبال الكافور، ينظر إليهم الثقلان ما يطرقون تعجبًا حتى يدخلوا الجنة لا يخالطهم أحد إلا المؤذنون المحتسبون»[١].

(٢٧) ومَن مات ليلة الجمعة أو يومها وقاه الله فتنة القبر، وأي كرم بعد هذا؟!

● عن عبد اللَّه بن عمرو ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه اللَّه فتنة القبر»[٢].

(٢٨) ومَن الله عليها بإحلال بعض الأطعمة لها:

● فعن ابن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: «أُحلَّتْ لنا ميتتان ودمان، فأمّا الميتتان فالحوت والجراد، وأما الدَّمَان فالكبد والطحال»[٣].

❑ قال المناوي في «فيض القدير» (١/ ٢٠٠): «أحلت لنا»: أي «لا

---

(١) صحيح: رواه ابن خزيمة في «صحيحه» (٣/ ١١٧) رقم(١٧٣٠)، والحاكم في «المستدرك»، والبيهقي في «شعب الإيمان»، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم(٧٠٦)، و«صحيح الجامع» رقم(١٨٧٢).

(٢) حسن: رواه أحمد في «مسنده»، والترمذي، وأخرجه أبو يعلى من حديث أنس، وحسنه الألباني في «أحكام الجنائز» ص(٣٥)، و«تخريج المشكاة» (١٣٦٧)، و«صحيح الجامع» (٥٧٧٣)، وكذا رواه الضياء في «المختارة».

(٣) صحيح: أخرجه ابن ماجه (٣٢١٨) مختصرًا (٣٣١٤)، والبيهقي في «سننه» (٩/ ٢٥٤، ٢٥٧)، وأحمد (٢/ ٩٧)، وعبد بن حميد في «المنتخب» (٨٢٠)، والدارقطني (٤/ ٢٧١، ٢٧٢)، والحاكم، والبغوي في «شرح السنة» (٢٨٠٣)، وفي «تفسيره» (١/ ١٤٠)، وصححه أبو زرعة، وأبو حاتم، والبيهقي والحافظ والألباني وقفه من جهة اللفظ ورفعه من جهة المعنى، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم(١١١٨)، و«صحيح الجامع» رقم(٢١٠).

لغيرنا من الأمم».

(٢٩) الطاعون رحمة وشهادة لهذه الأمة وكان رجزًا وعذابًا على من كان قبلنا:

● عن عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: «**الطاعون شهادة لأمتي، ووخز أعدائكم من الجن غُدَّة كغدّة الإبل تخرج في الآباط والمراق، من مات فيه مات شهيدًا، ومن أقام فيه كان كالمرابط في سبيل اللَّه، ومن فرّ منه كان كالفارّ من الزحف**»(١).

● وعن عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ أنها سألت رسول اللَّه ﷺ عن الطاعون فأخبرها: «**أنه عذاب يبعثه اللَّه على من يشاء، وأن اللَّه جعله رحمة للمؤمنين، ليس من أحد يقع في الطاعون فيمكث في بلده صابرًا محتسبًا يعلم أن ما يصيبه إلا ما كتب اللَّه له إلا كان له مثل أجر شهيد**»(٢).

● ومن حديث أبي موسى الأشعري ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**الطاعون وخز أعدائكم من الجن وهو لكم شهادة**»(٣).

---

(١) **صحيح**: أخرجه الطبراني في «الأوسط» رقم (٥٦٦١)، وإسحاق بن راهويه في «مسنده»، وأبو نعيم في «فوائد أبي بكر بن خلاد» (٨٣٣) (٣/ ٧٦١)، وقوّاه ابن حجر في «بذل الماعون في فضل الطاعون» (٦٩/ ١ ـ ٢)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم(١٩٢٨). وحسنه في «صحيح الجامع» (٣٩٤٦).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٧٤، ٥٧٣٤، ٦٦١٩)، وأحمد (٦/ ٦٤، ١٥٤، ٢٥٢)، والبيهقي في «السنة» (٣/ ٣٧٦)، وأبو يعلى (٣/ ٧٤٦).

(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد (٤/ ٣٩٥ ـ ٤١٣ ـ ٤١٧)، وأبو داود الطيالسي (٥٣٤)، والطبراني في «الصغير»، والحاكم (١/ ٥٠)، وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٩٥١)، و«الإرواء» (١٦٣٧، ١٦٣٨).

قال ابن حجر في «الفتح» (١٠/ ١٩٢): «فجعله اللَّه رحمة للمؤمنين أي من هذه الأمة».

● وقال ﷺ: «**أتاني جبريل بالحمّى والطاعون، فأمسكت الحُمَّى في المدينة، وأرسلت الطاعون إلى الشام، فالطاعون شهادة لأمتي، ورحمة لهم، ورجس على الكافرين**»[(١)].

ولفضل الطاعون دعا النبي ﷺ ربه عز وجل لهذه الأمة أن تفنى أمته في سبيل اللَّه بالطعن والطاعون وذلك من حديث أبي بردة الأشعري: «**اللَّهم اجعل فناء أمتي قتلاً في سبيلك بالطعن والطاعون**»[(٢)].

(٣٠) تعدّد أنواع الشهادة في هذه الأمة المباركة:

بعد أن كان الشهيد في الأمم السابقة هو الذي يستشهد في الحرب.

● فعن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قالَ رسول اللَّه ﷺ: «**ما تَعدّونَ الشهيد فيكم؟** قالوا: يا رسول اللَّه مَن قُتِل في سبيل اللَّه فهو شهيد، **قال: «إن شهداء أمتي إذًا لقليل»**، قالوا: فمن يا رسول اللَّه؟ **قال: «مَن قُتِل في سبيل اللَّه فهو شهيد، ومَن مات في البطن فهو شهيد، والغريق شهيد»**[(٣)].

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (٥/ ٨١)، وابن سعد، وابن حبان في «الثقات» (١/ ٢١٥)، وابن عساكر في «تاريخه» عن أبي عسيب، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم(٧٦١)، و«صحيح الجامع» رقم(٦٠).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٤/ ٤١٧)، والطبراني في «الكبير»، و«الصغير» و «الأوسط»، وأبو يعلى، والبزار، ورواه إسحاق في «مسنده» (٣/ ٧٦١) (٨٣٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم(١٢٥٨)، و«الإرواء» (١٦٣٧).

(٣) أخرجه مسلم (٣/ ١٥٢١)، وأحمد (٢/ ٥٢٢)، والترمذي (٢١٥٣)، وابن ماجه، وأبو داود الطيالسي (٥٨٢).

وتتعدد أنواع الشهادة، فمن فصل في سبيل اللَّه فمات أو قتل فهو شهيد أو وقَصَه فرسه أو بعيره، أو لدغته هامة، أو مات على فراشه بأي حتف شاء اللَّه فهو شهيد، ومن سأل الشهادة بصدق بلّغه اللَّه منازل الشهداء وإن مات على فراشه، والمرأة تموت بجمع أو النفساء شهيدة، والمبطون، وصاحب الهدم، وصاحب ذات الجنب، والحرق، ومن مات بالسل فهم شهداء، ومن قُتل دون ماله أو دون أهله أو دون دينه، أو دون دمه فهو شهيد.

(٣١) أمة الإسناد:

● قال رسول اللَّه ﷺ : «**تسمعون ويُسمع منكم، ويُسْمَع ممن يَسمع منكم**»(١) .

وهذه واللَّه منقبة عظيمة لهذه الأمة فالإسناد من الدين ، وبه يحفظ حديث رسول اللَّه ﷺ من الضياع وبه يحفظ دين اللَّه، قال تعالى: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾ [الحجر: ٩].

❑ قال أبو حاتم الرازي: «لم يكن في أمة من الأمم منذ خلق اللَّه آدم أمة يحفظون آثار نبيهم وأنساب سلفهم مثل هذه الأمة»(٢) .

وقال أبو بكر بن العربي: «واللَّه أكرم هذه الأمة بالإسناد، لم يعطه أحدًا غيرها فاحذروا أن تسلكوا مسلك السيهود والنصارى، فتحدثوا بغير

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٣٦٥٩)، وابن حبان (٦٢)، والحاكم (١/ ٩٥)، وأحمد (١/ ٣٢١)، والبيهقي في «الدلائل» (٦/ ٥٣٩)، والرامهرمزي في «المحدّث الفاصل» (٩٢)، والحاكم في «معرفة علوم الحديث» ص(٢٧)، وابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢/ ٨، ٩)، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم(١٧٨٤).

(٢) «تاريخ دمشق»، و«فتح المغيث» (٣/ ٣)، و«فيض القدير» (١/ ٤٣٤).

إسناد فتكونوا سالبين نعمة اللَّه عن أنفسكم، مطرقين للتهمة إليكم، وحافظين لمنزلتكم ومشتركين مع قوم لعنهم اللَّه وغضب عليهم وراكبين لسُنَّتهم»[١].

❑ كان عبد اللَّه بن طاهر إذا سأل إسحاق بن إبراهيم الحنظلي عن حديث فذكره له بغير إسناد سأل عن إسناده وهو يقول: «رواية الحديث بلا إسناد من عمل الزَّمنى، فإن إسناد الحديث كرامة من اللَّه عز وجل لأمة محمد ﷺ»[٢].

❑ وقال ابن حزم في الفصل في «الملل والأهواء والنحل» (٢/ ٨٢):

«وهذا نقل خصّ اللَّه تعالى به المسلمين دون سائر أهل الملل كلها وأبقاه عندهم غضًّا جديدًا على قديم الدهور منذ أربعمائة وخمسين عامًا في المشرق والمغرب، والجنوب والشمال يرحل في طلبه من لا يحصي عددهم إلاّ خالقهم إلى الآفاق البعيدة.

قال أبو علي الجبائي: «خصّ اللَّه هذه الأمة بثلاثة أشياء لم يعطها مَنْ قبلها: الإسناد والأنساب والإعراب»[٣].

وقال محمد بن حاتم بن المظفر: إن اللَّه أكرم هذه الأمة وشرّفها وفضّلها بالإسناد، وليس لأحد من الأمم كلهم قديمهم وحديثهم إسناد. وإنما هي صحف في أيديهم وقد خلطوا بكتبهم أخبارهم، وليس عندهم تمييز بين ما نزل من التوراة والإنجيل مما جاءهم به أنبياؤهم وتمييز ما ألحقوه بكتبهم من الأخبار التي أخذوا عن غير الثقات، وهذه الأمة إنما تنص الحديث من الثقة المعروف في زمانه المشهور بالصدق والأمانة عن

(١) «فهرس الفهارس» للكتاني (١/ ٨٠).
(٢) «فتح المغيث» (٣/ ٤) للسخاوي، و«شرح المواهب اللدنية» للقسطلاني (٥/ ٣٩٣).
(٣) «تدريب الراوي» (٢/ ١٦٦٠)، و«قواعد التحديث» للقاسمي ص(٢٠٤).

مثله حتى تتناهى أخبارهم، ثم يبحثون أشد البحث حتى يعرفوا الأحفظ فالأحفظ، والأضبط فالأضبط والأطول مجالسة لمن فوقه ممّن كان أقل مجالسة، ثم يكتبون الحديث من عشرين وجهًا وأكثر حتى يهذّبوه من الغلط والزلل، ويضبطوا حروفه ويعدُّوه عدًّا، فهذا من أعظم نعم اللَّه تعالى على هذه الأمة»[١].

❑ قال عبد اللَّه بن المبارك: «الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء»[٢].

وقال: مثل الذي يطلب أمر دينه بلا إسناد كمثل الذي يرقى السطح بلا سلم»[٣].

❑ وقال الأوزاعي: «ما ذهاب العلم إلا بذهاب الإسناد»[٤].

❑ وقال الشافعي: «مثل الذي يطلب الحديث بلا إسناد كمثل حاطب ليل يحمل حزمة حطب وفيه أفعى وهو لا يدري»[٥].

❑ وقال علي القاري: «أصل الإسناد أولاً خصيصة فاضلة من خصائص هذه الأمة وسنة بالغة من السنن المؤكدة»[٦].

❑ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «علم الإسناد والرواية مما خصّ

---

(١) «شرف أصحاب الحديث» للخطيب البغدادي ص(٤٠) رقم(٧٦).

(٢) مقدمة «صحيح مسلم» شرح النووي (١/ ٨٧)، وابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢/ ١٦).

(٣) «الكفاية» للخطيب (٣٩٣)، و«طبقات الشافعية» (١/ ١٦٧).

(٤) «التمهيد» لابن عبد البر (١/ ٥٧).

(٥) «شرح المواهب اللدنية» للقسطلاني (٥/ ٣٩٣).

(٦) «شرح نخبة الفكر» ص(١٩٤).

اللَّه به أمة محمد ﷺ، وجعله سلمًا إلى أهل الدراية، فأهل الكتاب لا إسناد لهم يأثرون به المنقولات، وهكذا المبتدعون من هذه الأمة أهل الضلالات، وإنما الإسناد لمن أعظم اللَّه عليهم المنة أهل الإسلام والسنّة يفرّقون به الصحيح والسقيم، والمعوج والقويم، وغيرهم من أهل البدع والكفّار إنما عندهم منقولات يأثرونها بغير إسناد، وعليها من دينهم الاعتماد، وهم لا يعرفون فيها الحق من الباطل، ولا الحالي من العاطل»[1].

(٣٢) بُورك لهذه الأمة الفاضلة في بُكورها:

● كما قال رسول اللَّه ﷺ: «**بورك لأمتي في بُكورها**»[2].

● عن صخر بن وداعة الغامدي مرفوعًا: «**اللَّهم بارك لأمتي في بكورها**» وكان النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم، إذا أرسل سرية أرسلها في أول النهار؛ وكان صخر إذا أرسل تجارة أرسلها أول النهار»[3]. وفي

---

(١) «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» (١/ ٩).

(٢) **صحيح**: رواه الطبراني في «الأوسط» عن أبي هريرة، وعبد الغني في «الإيضاح» عن ابن عمر وقوّاه الحافظ في «الفتح»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم(٢٨٤١)، و«تخريج المشكاة» (٣٩٠٨).

(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد (٣/ ٤١٦، ٤٣٢)، بالزيادة (٤١٧، ٤٣١، ٤٣٢)، (٤/ ٣٨٤) بالزيادة، (٣٩٠) بالزيادة، وبدونها (٣٩٠، ٣٩١)، وأبو داود (٢٦٠٦)، والترمذي (٢/ ١٢)، وابن ماجه (٢٢٣٦)، والنسائي، وابن حبان (٤٧٣٤، ٤٧٣٥)، وعبد بن حميد في «المنتخب»، وسعيد بن منصور في «سننه»، والطيالسي، والعقيلي، وابن عدي، والطبراني في «الكبير» (٧٢٧٥ ـ ٧٢٧٧)، والبيهقي في «السنن» (٩/ ١٥١)، والدلائل (٦/ ٢٢٢) عن أبي هريرة، وكذا أخرجه ابن ماجه (٢٢٣٨) عن ابن عمر، والطبراني في «الكبير» (١٠٤٩٠)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٦/ ٢٨٩)، وأبو يعلى (٥٤٠٦، ٥٤٠٩) عن ابن مسعود، والطبراني في «الكبير» (١٢٩٦٦)، والبخاري في «التاريخ=

بعض الروايات زيادة: «حتى كان لا يدري أين يضع ماله»، هذا في الأرزاق، ومنها رزق القلوب أيضًا، من علم وذكر، كانت أم الإمام أحمد تستحلفه باللَّه أن لا يخرج لطلب الحديث ـ وهو صغير ـ حتى يؤذن المؤذن لصلاة الفجر.

(٣٣) أمة المجددين:

فلا تزال دوحة الإسلام تثمر وخليته تعسل.

● قال رسول اللَّه ﷺ: **«إن اللَّه يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة مَن يجدّد لها دينها»**[١].

ووجه الخصوصية لهذه الأمة بهذا أن غيرنا من الأمم كانوا يجتمعون على الضلالة بما في ذلك أحبارهم ورهبانهم، أما هذه الأمة فلا تجتمع على ضلالة ويبعث اللَّه لها من يجدّد دينها كي لا تطبق الأجيال مع تمادي العصور على الضلالة والعياذ باللَّه وهذا مصداق قول اللَّه عز وجل: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾.

● وقوله ﷺ: **«لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتي أمر اللَّه وهم على ذلك»**[٢].

= الكبير» (٦/١٩٩) عن ابن عباس، والطبراني في «الكبير» (١٨) برقم(٥٤٠) عن عمران ابن حصين، والطبراني في «الكبير» عن عبد اللَّه بن سلام، وعن كعب بن مالك (١٩) برقم(١٥٦)، وعن النواس بن سمعان.

قال أبو حاتم في «العلل» (٢٣٠٠): «لا أعلم في «اللَّهم بارك لأمتي في بكورها» حديثًا صحيحًا وضعّفه ابن الجوزي على تشدّد فيه، وقواه وجوّده العقيلي، وابن حجر، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم(١٣٠٠)، وفي «تخريج المشكاة» (٣٩٠٨).

(١) سبق تخريجه.

(٢) «كشف الغمة ببيان خصائص رسول اللَّه ﷺ والأمة» لمصطفى بن إسماعيل ص(٥٢٠ ـ ٥٢١) ـ مكتبة ابن تيمية.

● وقال رسول اللَّه ﷺ : «**الكل قرن من أمتي سابقون**»[١] .

● وقال ﷺ : «**في كل قرن من أمتي سابقون**»[٢] .

فالخيرية لا تنقطع في هذه الأمة، ويكتمل الخير بظهور المجدد في كل قرن.

● وقد قال ﷺ : «**لكل قرن سابق**»[٣] . وهو المجدد.

(٣٤) ومن خصائصها أن لها النصر والتمكين، والغلبة إلى يوم الدين:

عن أبي كعب ـ رضي اللَّه عنه ـ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**بشِّر هذه الأمة ـ أو أمتي ـ بالنصر والسناء والتمكين، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة من نصيب**»[٤] .

❑ وعند البيهقي: «**بشِّر هذه الأمة بالتيسير، والسناء، والرفعة بالدين،**

---

(١) **صحيح**: رواه أبو نعيم في «الحلية» عن ابن عمر، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم(٥١٧٢) و«السلسلة الصحيحة» رقم(٥١٧٢).

(٢) **حسن**: أخرجه الحكيم عن أنس، وأبو نعيم في «الحلية»، والديلمي عن ابن عمر، وحسّنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم(٤٢٦٧)، و«الصحيحة» رقم(٢٠٠١).

(٣) **صحيح**: أخرجه أبو نعيم في «الحلية» عن أنس، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم(٥١٧١)، و«السلسلة الصحيحة» رقم(٢٠٠١).

(٤) **صحيح**: أخرجه أحمد في «مسنده»، وابنه في «زوائد المسند» (٥/ ١٣٤)، وأحمد في «الزهد» ص(٤١ ـ ٤٢)، وابن حبان (٢٥٠١ ـ الموارد)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣١١، ٣١٨)، والدولابي (١/ ١٨٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٥٥)، (٩/ ٤٢)، والبغوي في «شرح السنة» (٤١٤٤)، وجزم به المنذري، والحديث حسّنه الألباني في «أحكام الجنائز» ص(٥٢)، وصححه في «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ١٥ ـ ١٦).

والتمكين في البلاد والنصر، فمن عمل منهم بعمل الآخرة للدنيا؛ فليس له في الآخرة من نصيب»[١].

وهذا الحديث يبعث الأمل في نفوس هذه الأمة الحزينة على أن الباطل وإن أينعت زهوره وثماره المرة، وإن طالت جذوره الهشة، فلا بد من اجتثاثها بأيد طاهرة متوضئة ألفت أن تمدّ إلى السماء لا إلى الشرق، ولا إلى الغرب: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧].

(٣٥) أمة متميزة حتى في طريقة دفن أفرادها اللحد لنا والشق لغيرنا:

● قال رسول اللَّه ﷺ: «اللحد لنا والشق لغيرنا»[٢].

---

(١) «دلائل النبوة» للبيهقي (٦/ ٣١٨).

(٢) صحيح: أخرجه ابن ماجه (١٥٥٥)، وأحمد (٤/ ٣٥٧، ٣٥٩، ٣٦٢، ٣٦٣)، والطيالسي (٦٦٩)، وابن سعد في «الطبقات» (٢/ ٢٩٤)، والحميدي (٨٠٨)، وابن أبي شيبة (٣/ ١٣)، وابن عدي في «الكامل» (٤/ ١٣٢٩)، والطبراني في «الكبير» (٢٣١٩ - ٢٣٢٦، ٢٣٢٨، ٢٣٣٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٢٠٣)، والبيهقي (٣/ ٤٠٨)، والبغوي (٢/ ١٥) عن جرير بن عبد اللَّه، وأخرجه أبو داود (٣٢٠٨)، والنسائي(٢٠٠٩)، والترمذي (١٠٢٥)، وابن ماجه (١٥٥٤)، والطبراني في «الكبير» (١٢٣٩٦)، والبيهقي (٣/ ٤٠٨)، والطحاوي في «المشكل» (٤/ ٤٨)، والبغوي (١٥١١) عن ابن عباس، وأخرجه ابن شاهين في كتاب «الجنائز» كما في «نصب الراية» (٢/ ٢٩٧) عن جابر وضعّف سنده الحافظ في «الدراية» (١/ ٢٣٩)، والحديث بمجموع هذه الطرق صحيح، وصححه الألباني في «أحكام الجنائز» ص(١٤٥)، و«تحقيق المشكاة» (١٧٠١)، و«حجاب المرأة المسلمة» ص(٨٨). ورجح العلماء أن اللحد مستحب، ومع ذلك فقد اختصت هذه الأمة باستحباب اللحد بخلاف غيرها.

(٣٦) الغرّ المحجلون:

أمة محمد ﷺ غرّ من السجود، محجلون من الوضوء يوم القيامة، وهذا من خصائصهم التي خصّهم اللَّه تعالى بها.

● قال رسول اللَّه ﷺ : **«إن حوضي أبعد من أيلة من عدن، لهو أشد بياضًا من الثلج وأحلى من العسل باللبن، ولآنيته أكثر من عدد النجوم، وإني لأصدّ الناس عنه كما يصدّ الرجل إبل الناس عن حوضه»** قالوا: يا رسول اللَّه، أتعرفنا يومئذ؟ **قال: «نعم، لكم سيما ليست لأحد من الأمم، تردون عليّ غرًّا محجّلين من أثر الوضوء»**[(١)] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : **«ما من أحد من أمتي إلا وأنا أعرفه يوم القيامة»**، قالوا: وكيف تعرفهم يا رسول اللَّه في كثرة الخلائق؟ **قال: «أرأيت لو دخلت صبرة فيها خيل دُهم بُهم وفيها فرس أغر محجل، أما كنت تعرفه منها؟** قال: بلى، **قال: «فإن أمتي يومئذ غرّ من السجود محجلون من الوضوء»**[(٢)] .

● وعن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: **«إن أمتي يدعون يوم القيامة غرًّا محجلين من آثار الوضوء، فمن استطاع منكم أن يطيل غرّته وتحجيله فليفعل»**[(٣)] .

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٧)، وأبو عوانة (١/ ٢٤٤)، وابن ماجه (٤٢٨٢)، وابن حبان (١٠٤٨)، وأبو يعلى (٦٢٠٩)، والبغوي (٢١٩) عن أبي هريرة.

(٢) رواه مسلم، كتاب «الطهارة» (٣/ ١٤١)، وأحمد (١٢/ ٣٠٠، ٤٠٨).

(٣) أخرجه البخاري (١٣٦)، ومسلم (٢٤٦)، وأحمد (٢/ ٣٣٤، ٥٢٣)، وابن حبان (١٠٤٩)، وأبو عوانة (١/ ٢٤٣)، والبيهقي (١/ ٥٧، ٧٧).

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «أنتم الغرُّ المحجلون يوم القيامة من إسباغ الوضوء»[1].

وعند ابن ماجه (٤٢٨٢) في «الزهد» بسند صحيح: «سيماء أمتي ليس لأحد غيرها».

❑ قال الحافظ في «الفتح»: (١/ ٢٣٦): غرًّا جمع أغر أي: ذو غرّة، وأصل الغرّة لمعة بياض تكون في جبهة الفرس. ثم استعملت في الجمال والشهرة وطيب الذكر والمراد بها هنا: النور الكائن في وجوه أمة محمد ﷺ.

محجّلين: من التحجيل وأصله بياض يكون في ثلاث قوائم من قوائم الفرس، وهو من الخلخال، والمراد به هنا أيضًا: النور.

❑ قال المباركفوري في «تحفة الأحوذي» (٣/ ٢٢٩):

«غر: جمع أغرّ وهو أبيض الوجه من أثر السجود.

محجلون: المحجل من الدواب التي قوائمها بيض مأخوذ من الحجل وهو: القيد، كأنها مقيدة بالبياض.

(٣٧) صفات مجتمعة في هذه الأمة خاصة بها يوم القيامة:

للَّه ما أطيب هذا الحديث وما أعظم البشارة به!

● عن أبي ذر وأبي الدرداء ـ رضي اللَّه عنهما ـ قالا: قال رسول اللَّه

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب «الطهارة» (١/ ٢١٣) (٣٦، ٣٧)، والترمذي انظر «التحفة» (٤٠٦) (٣/ ٢٢٩).

ﷺ : «أنا أول من يُؤذن له في السجود يوم القيامة، وأول من يؤذن له أن يرفع رأسه، فأرفع رأسي، فأنظر بين يدي، فأعرف أمتي من بين الأمم، وأنظر عن يميني فأعرف أمتي من بين الأمم، وأنظر عن شمالي فأعرف أمتي من بين الأمم»، فقال رجل: يا رسول اللَّه، وكيف تعرف أمتك من بين الأمم ما بين نوح إلى أمتك؟ فقال: «غر محجلون من أثر الوضوء، ولا يكون لأحد من الأمم غيرهم، وأعرفهم أنهم يؤتون كتبهم بأيمانهم، وأعرفهم بسيماهم في وجوههم من أثر السجود، وأعرفهم بنورهم الذي بين أيديهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم»[1].

* قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الحديد: ١٢].

* وقال تعالى: ﴿...يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم: ٨].

فهذه الأوصاف مجتمعة لا تكون إلا لهذه الأمة المجتباة يوم القيامة. واللَّه أعلم.

---

(١) **إسناده صحيح**: أخرجه الحاكم (٢/ ٤٧٨) ـ واللفظ له ـ وأحمد (٥/ ١٩٩ مكررًا)، وابن المبارك في «مسنده» (١٠٣)، والخزاعي في «زوائد الزهد» لابن المبارك (٣٧٦)، ومحمد ابن نصر المزوزي كما في «تفسير ابن كثير».
وأخرجه أحمد في «مسنده» مرة عن أبي الدرداء وأبي ذر، ومرة عن أبي الدرداء فقط، ويزيد بن أبي حبيب معدود في الرواة عن عبد الرحمن بن جبير وقد أدركه إدراكًا بيّنًا، فالسندُ صحيح متصل، والحمد للَّه.

(٣٨) قدر يوم القيامة على هذه الأمة كقدر ما بين الظهر والعصر:

وهذا خاص بالمؤمنين من أمة محمد ﷺ.

● فعن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يوم القيامة على المؤمنين كقدر ما بين الظهر والعصر**»[١].

(٣٩) أول أمة تحاسب يوم القيامة إكرامًا من الودود ـ سبحانه ـ لهذه الأمة:

● عن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**نحن آخر الأمم وأول مَن يُحاسب. يُقال: أين الأمة الأميّة ونبيها؟ فنحن الآخرون الأولون**»[٢].

● ومرّ بك حديث رسول اللَّه ﷺ: «**نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بَيْد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، ثم هذا يومهم الذي فُرض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا اللَّه، فالناس لنا فيه تبع، اليهود غَدًا والنصارى بعد غد**»[٣].

❑ قال الحافظ في «الفتح» (٢/ ٣٥٤): «عند مسلم[٤]: «نحن

---

(١) **صحيح**: أخرجه الحاكم (١/ ٨٤)، وقال: صحيح الإسناد على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وأخرجه الديلمي، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٤٥٦)، و«صحيح الجامع» رقم (٨١٩٣).

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد (١/ ٢٨٢)، وابن ماجه (٤٢٩٠)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٣٧٤)، و«صحيح الجامع» (٦٧٤٩).

(٣) رواه البخاري (١/ ٣٤٥) «الفتح»، ومسلم (٢/ ٥٨٥، ٥٨٦) رقم (٨٥٥)، وأحمد (٢/ ٢٤٩، ٢٧٤، ٣١٢، ٣٤١، ٤٧٣، ٥٠٢، ٥٠٤)، والنسائي عن أبي هريرة.

(٤) مسلم (٢/ ٥٨٥).

الآخرون ونحن السابقون»، أي: الآخرون زمانًا، والأولون منزلة، والمراد أن هذه الأمة وإن تأخر وجودها في الدنيا عن الأمم الماضية فهي سابقة لهم في الآخرة بأنهم أول من يُحشر وأول من يُحاسب وأول من يقضى بينهم، وأول من يدخل الجنة، وفي حديث حذيفة عند مسلم: «**نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة المقضيّ لهم قبل الخلائق**»[1]. قوّى هذا القول الحافظ ابن حجر على غيره.

(٤٠) أول الأمم مرورًا على الصراط، وكونها في مكان مرتفع عن الخلق يوم القيامة:

● وهذا إكرام من اللَّه ـ عز وجل ـ لهذه الأمة فقد جاء عن النبي ﷺ: «... **ويُضرب الصراط بين ظهري جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يجيز**»[2].

● وعن كعب بن مالك ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إذا كان يوم القيامة كنت أنا وأمتي على تل فيكسوني حلة خضراء، ثم يأذن لي تبارك وتعالى أن أقول ما شاء اللَّه أن أقول، وذلك المقام المحمود**»[3].

«والراجح أن كون النبي ﷺ وأمته على تل أن ذلك بعد المرور على الصراط بدليل ذكر «المقام المحمود» وهو الشفاعة على الراجح

---

(١) مسلم (٢/ ٥٨٦) برقم (٨٥٦).

(٢) رواه البخاري «الفتح» (٣/ ٤١٩)، ومسلم (١/ ١٦٤).

(٣) **إسناده جيد**: رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٢/ ٣٦٤)، والحاكم(٤/ ٥٧٠ ـ ٥٧١) وبقية بن الوليد صدوق مدلس صرّح بالتحديث. وجوّده الألباني في «ظلال الجنة» (٢/ ٣٦٤)، وأشار إلى أن له شاهدين عند الحاكم (٤/ ٥٧٠ ـ ٥٧١)، (٤/ ٥٩٩) موقوفًا على ابن مسعود.

والصحيح، أي: أن الشفاعة بعد المرور على الصراط، واللَّه أعلم»[١].

(٤١) الشفاعة العظمى لسيد الرسل ﷺ يوم القيامة:

خصّ اللَّه تعالى رسوله الكريم ﷺ بالمقام المحمود، وهو الشفاعة العظمى، يشفع النبي ﷺ من هول مطلع يوم القيامة ومن الكرب والهمّ الذي يصيب الناس في المحشر فتتقاصر شفاعة الرسل من دون رسول اللَّه ﷺ.

● عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ مرفوعًا: «**يجمع اللَّه الأولين والآخرين في صعيد واحد فيأتون آدم، ثم نوح، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى... حتى يأتون محمدًا ﷺ فيقول: «فأنطلق فآتي العرش فأقع ساجدًا لربي عز وجل، ثم يفتح اللَّه لي من محامده وحُسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه على أحد قبلي فأقول: أمتي يا ربِّ! أمتي يا رب! فيُقال: يا محمد! أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب**»[٢].

● ومما رحم اللَّه به هذه الأمة وكرّمها شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر فقد قال رسول اللَّه ﷺ: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**»[٣]،

(١) «القول الأحمد في خصائص أمة محمد» للشيخ حاي الحاي ص(١٨١) ـ نشر دار النفائس ـ الكويت.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم (١/ ١٨٢) من حديث أنس بن مالك، و(١/ ١٨٤ ـ ١٨٥) من حديث أبي هريرة.

(٣) **حديث صحيح**: أخرجه أبو داود (٥/ ١٠٦) رقم (٤٧٣٩)، وأحمد (٣/ ٢١٣) والنسائي والحاكم عن جابر (٢/ ٣٨٢)، وابن حبان، والبخاري في «التاريخ الكبير»، والطبراني في «الكبير» عن ابن عباس، والخطيب عن ابن عمر، وكعب بن عجرة، وكذا رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن حبان عن أنس، وصححه الألباني في «تخريج المشكاة» (٥٥٩٨، ٥٥٩٩)، و«صحيح الجامع» (٣٧١٤).

وشفاعته لأناس من أمته يُعطَوْن درجات في الجنة لا تبلّغهم إياها أعمالهم، واختصاص الأمة المحمدية بشفاعة نبيها الذي ادّخر دعوته لأمته شفاعة لها في هذا اليوم العقيم خاص بهذه الأمة، فلقد دعا كل نبي دعوته المستجابة في دار الدنيا، فما أكرم نبينا وما أرأفه وما أرحمه بأمته، وما أطيب شفقته!

● عن عبد الرحمن بن أبي عقيل قال: انطلقنا فأتينا رسول اللَّه ﷺ فأنخنا بالباب، وما في الناس أبغض إلينا من رجل يلج عليه، فما خرجنا حتى ما في الناس أحد أحب إلينا من رجل يدخل عليه، فقال قائل منا: يا رسول اللَّه، ألا سألت ربك مُلْكًا كمُلْك سليمان؟ فضحك رسول اللَّه ﷺ ثم قال: «**لعل لصاحبكم عند اللَّه أفضل من مُلك سليمان، إن اللَّه لم يبعث نبيًّا إلا أعطاه دعوة، فمنهم من اتخذها دينًا فأُعطيها؛ ومنهم من دعا بها على قومه إذْ عصوْه فأهلكوا بها، وإن اللَّه أعطاني دعوة فخبَّيْتها عند ربي شفاعة لأمتي يوم القيامة**»[1].

(٤٢) عظم شفاعة رجل من المسلمين عُنوان ورمز لعظم هذه الأمة المحمدية:

ومن كرامة هذه الأمة عند ربها ما اختصّ اللَّه بعض أفرادها من الكرامة العظيمة في الآخرة ممثلة في شفاعة رجل من هذه الأمة لكثيرين

---

(١) **حديث صحيح**: أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٢/ ٩٣) رقم (٨٢٤) وهو حديث صحيح لغيره.

قال الشيخ الألباني: قد توبع فأخرجه ابن خزيمة (١٧٥) بإسناد جيد، وعزاه الحافظ للبخاري في «تاريخه»، والحارث بن أبي أسامة، وقال الهيثمي (١٠/ ٣٧١): رواه الطبراني، والبزار ورجالهما ثقات.

كثيرين، وفي هذا من الرفعة ما يثلج صدورنا ويعظم به فخرنا.

● عن عبد اللَّه بن شفيق قال: كنت مع رهط بإيلياء، فقال رجل منهم: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من بني تميم**»، قيل: يا رسول اللَّه سواك؟ قال: «**سواي**»[1]. فلما قام قلت: مَن هذا؟ قالوا: هذا ابنُ أبي الجذعاء.

قال القاري: قيل هذا الرجل عثمان بن عفان ـ رضي اللَّه عنه ـ أو أويس القرني.

● وعن عبد اللَّه بن قيس قال: كنت عند أبي بردة ذات ليلة، فدخل علينا الحارث بن أقيش، فحدثنا الحارث ليلتئذ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إن من أمتي من يدخل الجنة بشفاعته أكثر من مُضَر، وإن من أمتي من يعظم للنار حتى يكون أحد زواياها**»[2].

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «**ليدخلن الجنة بشفاعة رجل ليس بنبي مثل الحَيَّيْن: ربيعة ومضر، وإنما أقول ما أُقوَّل**»[3].

(٤٣) أول الأمم دخولاً الجنة:

وهذه منقبة ظاهرة لأمة رسول اللَّه ﷺ.

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي «التحفة» (٧/ ١٣٠)، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، وأخرجه ابن ماجه (٤٣١٦) (٢/ ١٤٤٤)، والحاكم في «المستدرك»، والدارمي (٢/ ٢٣٥) (٢٨١١)، وهو صحيح على شرط الشيخين، وصححه الألباني في «تحقيق المشكاة» (٥٦٠١)، و«صحيح الجامع» (٨٠٦٩).

(٢) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه في «سننه» ـ كتاب الزهد (٢/ ١٤٤٦) رقم (٤٣٢٣)، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (٢/ ٤٣٤).

(٣) **صحيح**: رواه أحمد في «مسنده»، والطبراني في «الكبير» عن أبي أمامة، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢١٧٨)، و«صحيح الجامع» (٥٣٦٣): ومعنى «إنما أقول ما أُقوَّل»: أي: ما يوحى إليّ.

● فعن أبي هريرة ـ رضي اللَّـه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «نحن الآخرون الأولـون يوم القيامة، ونحـن أول من يدخل الجنة، بَيْـد أنهم أُوتوا الكتاب من قبلنا وأُوتيناه من بعدهم، فاختـلفوا فهدانا اللَّه لما اختلفوا فيه من الحق، فهـذا يومهم الـذي اختلفـوا فيه هدانـا اللَّه لـه، فاليوم لـنا وغداً لليهود وبعـد غد للنصارى»[١].

● وقال ﷺ: «والذي نفس محمد بيده، ما من عبد يؤمن ثم يسدِّدُ إلا سُلِكَ به في الجنة، وأرجو أن لا يدخـلها أحد حتى تبوَّئوا[٢] أنتم ومن صـلح من ذرياتكم مساكن فـي الجنة، ولقد وعدني ربي أن يُدخل الجنة من أمـتي سبعين ألفًا بغير حساب»[٣].

● وعن عبد اللَّه بن عمرو ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «أتعـلمُ أول زمرة تـدخل الجـنة من أمـتي؟»، قلـت: اللَّه ورسـوله أعلم؟ فـقال: «المهاجرون يأتون يوم القيامة إلى بـاب الجنة ويستفتحون، فيقول لهم الخزنة: أَوَ قـدْ حوسبتم؟ فيقولـون: بأي شيء نحاسب؟! وإنما كانـت أسيافنا على عـواتقنا في سبـيل اللَّه حتى مـتنا على ذلـك؟ قال: فيُفتح لـهم، فيقيلـون فيه أربعين عامًا، قبل أن يدخلها الناس»[٤].

---

(١) رواه مسلم رقم (٨٥٥) (٢/ ٥٨٥، ٥٨٦).

(٢) أي: تتخذوا.

(٣) صحيح: أخرجه ابن ماجه عن رفاعة الجهني، وأخرجه الطيالسي، وأحمد في «مسنده»، وابن خـزيمة، وابن حـبان، وصحـحه الألبـاني فـي «السلسلة الـصحيـحة» (٥ ـ ٢٤)، و«صحيح الجامع» رقم (٧٠٦٢).

(٤) صحيح: أخرجه الحاكم في «المستدرك»، والبيهقي في «شعب الإيمان»، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٨٥٣)، و«صحيح الجامع» رقم (٩٦).

انظر يا أخي إلى ملوك الجنة من سابقي هذه الأمة.. وإلى وجوههم النيّرة.

● عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم كأشدّ كوكب دُرِيّ في السماء إضاءة، قلوبهم على قلب رجل واحد، لا اختلاف بينهم، ولا تباغض، لكل امرئ منهم زوجتان من الحور العين، يُرى مُخّ سُوقِهنّ من وراء العظم واللحم من الحسن، يسبّحون اللَّه بكرة وعشيًّا، لا يسقمون، ولا يبولون، ولا يتغوّطون ولا يتفلون، ولا يمتخطون، آنيتهم الذهب والفضة، وأمشاطهم الذهب، ووقود مجامرهم الأَلُوَّة[1] ورشحهم المِسْك، على خَلْق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعًا في السماء»**[2].

(٤٤) أكثر أهل الجنة هذه الأمة:

هذه الأمة هي أكثر أهل الجنة، ومَنْ عداها من الأمم السابقة الصالحة هي أقلّ منها عددًا ولو كانوا مجتمعين ـ وهذه الأمة ثلثا أهل الجنة.

● فعن سليمان بن بريدة عن أبيه ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«أهل الجنة، عشرون ومائة صف، ثمانون منها هذه الأمة، وأربعون من سائر الأمم»**[3].

---

(١) المجامر: المباخر، والألوّة: العود الهندي.

(٢) متفق عليه.

(٣) **صحيح**: رواه أحمد في «مسنده»، والترمذي «تحفة الأحوذي» (٧/ ٢٥٤، ٢٥٥)، وابن ماجه (٢/ ١٤٣٣ ـ ١٤٣٤)، والطبراني في «الصغير»، والحاكم في «المستدرك»، وابن حبان عن بريدة، وأخرجه الطبراني في «الكبير» عن ابن عباس، وعن ابن مسعود، وعن=

والنبي ﷺ أكثر الناس تابعًا يوم القيامة، ورحمة من اللَّه بهذه الأمة وتفضلاً منه عليها لا يبقى أحد من هذه الأمة إلا ودخل الجنة، وذلك بعد الحساب والقصاص، وبعد أن ينجي اللَّه من يشاء من هذه الأمة من النار، ثم يدخلون الجنة بفضل رحمته، وهذه خاصية لهذه الأمة.

● فعن عبد اللَّه بن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«ما من أمة إلا وبعضها في النار وبعضها في الجنة إلا أمتي، فإنها كلها في الجنة»**[1].

(٤٥) وأكرم أهل الجنة من هذه الأمة:

فمن هذا الأمة أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة:

● فقد قال رسول اللَّه ﷺ: **«أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين، إلا النبيين والمرسلين»**[2].

● وقال ﷺ: **«هذان السمع والبصر»**[3] يعني: أبا بكر وعمر...

أي: هذان من الدين السمع والبصر.

● والحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة.

قال رسول اللَّه ﷺ: **«أتاني ملك فسلّم عليّ ـ نزل من السماء، لم**

= أبي موسى، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٢٥٢٦)، و«تحقيق المشكاة» رقم (٥٦٤٤).

(١) **صحيح**: أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٣/ ٣٢٢)، والطبراني في «المعجم الصغير»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٦٩٣).

(٢) أخرجه البخاري (١١/ ٤٠٥، ٤٠٦)، ومسلم (١/ ١٩٩ ـ ٢٠٠).

(٣) **صحيح**: أخرجه الترمذي، والحاكم في «المستدرك» عن عبد اللَّه بن حنطب ـ رضي اللَّه عنه ـ وصححه الحاكم، والألباني في «صحيح الجامع» (٦٨٨١).

ينزل قبلها ـ فبشرني أن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة»[١] .

● وحمزة سيد الشهداء يوم القيامة:

قال رسول اللَّه ﷺ : «حمزة سيد الشهداء يوم القيامة»[٢] .

(٤٦) سبعون ألفًا من هذه الأمة يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب مع كل واحد منهم سبعون ألفًا فما أعظم هذه الأمة:

وهذا كرم عظيم تفضل اللَّه به على هذه الأمة واختصّها به:

● قال رسول اللَّه ﷺ : «عُرضت عليَّ الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد، إذْ رُفع لي سواد عظيم، فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسى وقومه، ولكن انظر إلى الأفق، فإذا سواد عظيم، فقيل لي: انظر إلى الأفق الآخر، فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، هم الذين لا يرقون ولا يسترقون، ولا يتطيرون، ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون»[٣] .

---

(١) صحيح: أخرجه ابن عساكر عن حذيفة ـ رضي اللَّه عنهما ـ، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٧٩٦).

(٢) صحيح: أخرجه الشيرازي في «الألقاب»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣١٥٣).

(٣) أخرجه أحمد، والبخاري، ومسلم عن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ.

● عن سهل بن سعد الساعدي ـ رضي اللَّه عنه ـ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفًا أو سبعمائة ألف**»، قال أبو حازم: لا أدري أي ذلك قال ـ«**متماسكون بعضهم آخذًا بيد بعض لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم وجوههم على صورة القمر ليلة البدر**»[(١)] .

● وعن أنس ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن اللَّه عز وجل وعدني أن يدخل الجنة من أمتي أربعمئة ألف**»، فقال أبو بكر: زدنا يا رسول اللَّه قال: «**وهكذا وجمع يديه**»، فقال: زدنا يا رسول اللَّه فقال: «**هكذا وجمع بين يديه**»، فقال عمر: حسبك يا أبا بكر فقال أبو بكر: دعنا يا عمر ما عليك أن يدخلنا اللَّه الجنة كلنا، فقال عمر: إن اللَّه تعالى إذا شاء أن يدخلنا الجنة بكف واحد فعل. فقال النبي ﷺ: «**صدق عمر**»[(٢)] .

● وعن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ عن رسول اللَّه ﷺ قال: «**سألت ربي عز وجل فوعدني أنْ يدخل من أُمتي سبعين ألفًا على صورة القمر ليلة البدر، فاستزدت فزادني مع كل ألف سبعين ألفًا، فقلت: أي رب إن لم يكن هؤلاء مهاجري أمتي، قال: إذن أكملهم لك من الأعراب**»[(٣)] .

● وعن أبي أمامة الباهلي عن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إن اللَّه**

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٣/ ١٦٥، ١٩٣)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٢٦٢) بإسناد صحيح، قال الشيخ الألباني: على شرط مسلم.

(٢) **حديث صحيح**: أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٢٦١)، وأحمد (٥/ ٢٥٠)، وصححه الألباني في «ظلال الجنة في تخريج السنة» (٥٨٨).

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٣٥٩)، وسنده جيد، جوّد إسناده الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١١/ ٣٤٥).

وعدني أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفًا بغير حساب»، قال يزيد بن الأخنس: واللَّه ما أولئك يا رسول اللَّه إلا مثل الذباب الأصهب في الذباب، قال رسول اللَّه ﷺ: «فإن اللَّه وعدني سبعين ألفًا مع كل ألف سبعون ألفًا وزادني ثلاث حثيات»[١].

● وعن أبي أمامة الباهلي قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «وعدني ربي أن يُدخل الجنة من أمتي سبعين ألفًا لا حساب عليهم ولا عذاب، مع كل ألف سبعون ألفًا وثلاث حثيات من حثياته»[٢].

● وعن أبي بكر الصديق ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «أُعطيت سبعين ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب وجوههم كالقمر ليلة البدر، قلوبهم على قلب رجل واحد فاستزدت ربي عز وجل فزادني مع كل واحد سبعين ألفًا»[٣].

يا لها من كرامة ظاهرة.. مع كل واحد سبعين ألفًا أي: أربعة آلاف وتسعمائة مليون يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب.. وليس سبعون ألفًا فقط.

---

(١) **إسناده حسن**: رواه أحمد (٢/٣٥٩)، والحديث صححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (١٤٨٤).

(٢) **سنده صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٤٣٧)، وابن ماجه (٤٢٨٦)، وأحمد (٥/٢٦٨)، وابن أبي شيبة (٦/ ٣١٥)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٥٨٩)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٣/ ٢٨٠)، (٥/ ٣٢١).

(٣) **حديث صحيح**: أخرجه أحمد (١/ ٦)، وأبو يعلى في «مسنده» (١١٢)، (١/ ١٠٤، ١٠٥) وله شواهد كثيرة تكلم عنها الألباني في «الصحيحة» (١٤٨٤)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٤٨٤)، و«صحيح الجامع» (١٠٥٧).

(٤٧) ومن خصائص هذه الأمة: النسخ:

قال السيوطي في «الإتقان» (٢/ ٢١): «النسخ مما خصّ اللَّه به هذه الأمة لحِكَم منها: التيسير. وقد أنكره اليهود.

واستدل أهل العلم بأن شرائع من قبلنا كانت تنزل دفعة واحدة فلا يتأتَّى فيها النسخ بخلاف شريعتنا، فقد قال تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً﴾ [الإسراء: ١٠٦].

(٤٨) ومن خصائص هذه الأمة: الخيار في القصاص أو الدية أو العفو:

* لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: ١٧٨]. بخلاف بني إسرائيل، فاليهود لم يكن عندهم إلا القصاص، والنصارى ليس عندهم إلا العفو، وقد قال اللَّه عن أهل التوراة: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ...﴾ الآية [المائدة: ٤٥]. ولم يذكر دية ولا عفوًا.

(٤٩) ومن خصائص هذه الأمة: أنها أمة متميزة نهيت عن التشبّه بالمشركين قاطبة:

الأمة المحمدية أمة متميزة متفرّدة ظاهرة، انبثق وجودها ابتداءً من منهج اللَّه لتؤدي في حياة البشر دورًا خاصًّا لا ينهض به سواها.

والتصور الإسلامي يختلف اختلافًا جوهريًّا أصيلاً عن الوجود والحياة والقيم والأشخاص والأعمال والأشياء.

هذه الأمة المسلمة التي اختارها اللَّه لقيادة البشرية، تستمد تقاليدها من عقيدتها التي تتلقاها من اللَّه، فالمسلمون الأعلون، وهم الأمة الوسط، هم خير أمة أخرجت للناس، فمن أين إذن يستمدون تصورهم ومنهجهم؟ إن لم يستمدوه من اللَّه، فهم سيستمدونه من الأدنى الذي جاءوا ليرفعوه! والهزيمة الداخلية تجاه مجتمع معين هي التي تتدسس في النفس من داخلها لتقلد هذا المجتمع المعين.

لقد وُجدت هذه الأمة لقيادة البشرية، فكيف تتلقى إذن من الجاهلية التي جاءت لتبدلها ولتصلها باللَّه؟! وحين تتخلّى عن مهمة القيادة فما وجودها إذن؟! إنها قيادة التصور الصحيح، والاعتقاد الصحيح، والشعور الصحيح، والخلق الصحيح، والنظام الصحيح، لتنمو الحياة وتزكو.

إن التلقي عن أهل الكتاب يعني الهزيمة الداخلية، والتخلّي عن دور القيادة الذي من أجله أُنشئت الأمة المسلمة، كما تحمل معنى الشك في كفاية منهج اللَّه لقيادة الحياة، وهو بذاته دبيب الكفر في النفس وهي لا تشعر به ولا ترى خطره القريب.

لقد ضمن الإسلام للبشرية أعلى أفق في التصور، وأقوم منهج في الحياة يدعو البشرية أن تفيء إليه بدلاً من التردي في مهاوي الجاهلية.

الأمة المسلمة تتميز بشخصية خاصة لا تتلبّس بشخصيات الجاهلية، تتميّز بتصور خاص للوجود والحياة لا يتلبّس بتصورات الكافرين السائدة، تتميز بأهداف واهتمامات تتفق مع تلك الشخصية وهذا التصور يعلو على شتى الأهداف التي تستهدفها الأرض جميعًا، تتميز براية خاصة تحمل اسم اللَّه وحده.

والعقيدة هي منهج الحياة الكامل الذي يميّز الأمة المستخلفة الوارثة

لتراث العقيدة الشهيدة على الناس، وتحقيق هذا المنهج هو الذي يمنحها ذلك التميز في الشخصية والكيان، وفي الأهداف والاهتمامات، وفي الراية والعلامة، والكيان، وهي بغير هذا المنهج ضائعة في الغمار، مبهمة الملامح، مجهولة السمات، مهما اتخذت لها من أزياء ودعوات وأعلام.

ولقد نهى الشارع عن التشبه بمن دون المسلمين في خصائصهم، التي هي تعبير ظاهر عن مشاعر باطنة كالنهي عن طريقتهم في الشعور والسلوك سواء، ولم يكن هذا تعصبًا ولا تمسكًا بمجرد شكليات، وإنما كان نظرة أعمق إلى ما وراء الشكليات. كان نظرة إلى البواعث الكامنة وراء الأشكال الظاهرة. وهذه البواعث هي التي تفرّق قومًا عن قوم، وعقلية عن عقلية، وتصورًا عن تصور، وضميرًا عن ضمير، وخلقًا عن خلق، واتجاهًا في الحياة كلها عن اتجاه.

● قال رسول اللَّه ﷺ: **«ليس منا من تشبّه بغيرنا، ولا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى، فإن تسليم اليهود الإشارة بالأصابع، وتسليم النصارى الإشارة بالأكف»**[1].

● وقال ﷺ: **«من تشبّه بقوم فهو منهم»**[2].

نهى عن التشبه في المظهر أو الملبس، ونهى عن التشبه في الحركة أو السلوك، ونهى عن التشبه في القول أو الأدب؛ لأن وراء هذا كله

---

(١) **حسن**: أخرجه الترمذي، والطبراني في «الأوسط» عن ابن عمرو، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٣١٠)، و«السلسلة الصحيحة» (٢١٩٤).

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود عن ابن عمر، والطبراني في «الأوسط» عن حذيفة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٠٢٥).

ذلك الشعور الذي يميّز تصورًا عن تصور، ومنهجًا في الحياة عن منهج، وسِمَة للجماعة عن سمة.

* قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦].

❑ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فقوله: ﴿وَلَا يَكُونُوا﴾ نهي مطلق عن مشابهتهم، وهو خاص أيضًا في النهي عن مشابهتهم في قسوة قلوبهم، وقسوة القلوب من ثمرات المعاصي»(١).

❑ وقال ابن كثير: «ولهذا نهى اللَّه المؤمنين أن يتشبّهوا بهم في شيء من الأمور الأصلية والفرعية»(٢).

فترك هدي الكفار والتشبه بهم في أعمالهم وأقوالهم وأهوائهم؛ من المقاصد والغايات التي أسّسها وجاء بها القرآن الكريم، وقام النبي ﷺ ببيان ذلك وتفصيله للأمة، وحقّقه في أمور كثيرة من فروع الشريعة، حتى قال اليهود: «ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئًا إلا خالفنا فيه».

* قال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ [الرعد: ٣٧].

* وقال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨].

---

(١) «اقتضاء الصراط المستقيم» لابن تيمية ص(٤٣).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٣١٠).

وهذه المخالفة لهدْي الكافرين تشمل أشياء كثيرة من العبادات والآداب والاجتماعيات والعادات وها نحن نسوقها ليكون المرء على بصيرة.

* ففي الصلاة:

١ ـ عن أبي عُمير بن أنس عن عمومة له من الأنصار قال: «اهتم النبي ﷺ للصلاة كيف يجمع الناس للصلاة، فقيل له: انصب راية عند حضور الصلاة، فإذا رأوها آذن بعضهم بعضًا، فلم يعجبه ذلك، قال: فذكر له القُنع؛ يعني الشَّبُّور (وفي رواية: شبور اليهود)[1] فلم يعجبه ذلك، وقال: **«هو من أمر اليهود»**، قال: فذكر له الناقوس، فقال: **«هو من أمر النصارى»**، فانصرف عبد اللَّه بن زيد بن عبد ربه، وهو مهتم لِهَمِّ رسول اللَّه ﷺ، فَأُرِي الأذان في منامه»[2].

٢ ـ وعن عمرو بن عبسة قال: قلت: يا نبي اللَّه! أخبرني عمّا علّمك اللَّه وأجهله، أخبرني عن الصلاة. قال: **«صل صلاة الصبح، ثم أقصر عن الصلاة حين تطلع الشمس حتى ترتفع؛ فإنها تطلع بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار. ثم صلِّ؛ فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى يستقل الظل بالرمح، ثم أقصر عن الصلاة؛ فإن حينئذ تُسجر جهنم، فإذا أقبل الفيء فصلّ؛ فإن الصلاة مشهودة محضورة، حتى تصلي العصر، ثم أقصر عن الصلاة حين تغرب الشمس؛ فإنها تغرب بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار»**[3].

٣ ـ الاختصاص والتميز في القبلة ـ لتتميز للمسلمين كل خصائص

---

(١) وهو البوق.

(٢) **حديث صحيح**: رواه أبو داود في «سننه»، وصححه الكثير من الأئمة ـ انظر «صحيح سنن أبي داود» رقم (٥١١).

(٣) أخرجه مسلم (٢/٢٠٨ ـ ٢٠٩)، وأبو عوانة (١/٣٨٦ ـ ٣٨٧) في «صحيحيهما».

الوراثة: حسيها وشعوريها، وراثة الدين، ووراثة القبلة، ووراثة الفضل من اللَّه جميعًا، لم يكن بُدّ من تمييز المكان الذي يتجه إليه المسلم بالصلاة والعبادة وتخصيصه كي يتميز هو بتصوره ومنهجه واتجاهه، فهذا التميز تلبية للشعور بالتفرد، كما أنه بدوره ينشئ شعورًا بالامتياز والتفرد.

٤ ـ وكما لا يصلي إلى القبلة التي يصلون إليها، كذلك لا يصلي إلى ما يصلون له، بل هذا أشد فسادًا.

● فعن جندب بن عبد اللَّه البجلي ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «... **ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك**»[(١)].

٥ ـ عن شدّاد بن أوس ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**خالفوا اليهود؛ فإنهم لا يصلون في نعالهم، ولا في خفافهم**»[(٢)].

وهذا أمر منه ﷺ بمخالفة اليهود مطلقًا.

٦ ـ وعن عبد اللَّه بن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إذا صلى أحدكم في ثوب فليشده على حقوه**[(٣)]، **ولا تشتملوا اشتمال اليهود**»[(٤)].

٧ ـ عن جابر بن عبد اللَّه ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: «اشتكى

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٦٧ ـ ٦٨)، وأبو عوانة(١/ ٤٠١) في «صحيحيهما»، وابن سعد.

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود في «سننه». انظر: «صحيح سنن أبي داود» (٦٥٩).

(٣) الحقو: هو معقد الإزار.

(٤) **سنده صحيح**: أخرجه البيهقي والطحاوي، وصححه الألباني في «جلباب المرأة المسلمة» ص(١٧٢).

رسول اللَّه ﷺ فصلّينا وراءه وهو قاعد، وأبو بكر يُسمع الناس تكبيره، فالتفت إلينا فرآنا قيامًا، فأشار إلينا فقعدنا، فصلينا بصلاته قعودًا، فلما سلّم قال: «**إن كدتم لتفعلون فعل فارس والروم، يقومون على ملوكهم، وهم قعود، فلا تفعلوا ائتموا بأئمتكم، إن صلى قائمًا فصلوا قيامًا، وإن صلى قاعدًا فصلوا قعودًا**» زاد في رواية: «**ولا تفعلوا كما يفعل أهل فارس بعظمائها**»[(١)].

٨ ـ وعن ابن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ أن النبي ﷺ نهى رجلاً وهو جالس معتمد على يده اليسرى في الصلاة، فقال: «**إنها صلاة اليهود**»، وفي رواية: «**لا تجلس هكذا، إنما هذه جلسة الذين يعذبون**»[(٢)].

* ومن الجنائز:

عن جرير بن عبد اللَّه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**اللحد لنا والشق لأهل الكتاب**»[(٣)] وقد مرت هذه الخاصية من قبل.

* ومن الصوم:

٩ ـ عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا يزال الدين ظاهرًا ما عجّل الناس الفطر؛ لأن اليهود والنصارى يؤخرون**»[(٤)].

١٠ ـ عن ليلى امرأة بشير ابن الخصاصية ـ رضي اللَّه عنه وعنها ـ

---

(١) أخرجه مسلم، وأبو عوانة في «صحيحيهما»، والزيادة في آخره عند أبي داود بإسناد صحيح.

(٢) الرواية الأولى للحاكم بإسناد صحيح، والأخرى لأحمد بسند حسن على شرط مسلم.

(٣) أخرجه أحمد، والطحاوي في «مشكل الآثار» وابن سعد، وله شاهد من حديث ابن عباس، قال شيخ الإسلام في «اقتضاء الصراط المستقيم» ص(٣٣): «وهو مروي من طرق فيها لين، لكن يصدق بعضها بعضًا».

(٤) **إسناده حسن**: رواه الترمذي، وأحمد، وأبو داود، والحاكم وابن حبان بإسناد حسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٧٦٨٩)، و«تخريج المشكاة» رقم (١٩٩٥).

قالت: أردت أن أصوم يومين مواصلة، فنهاني عنه بشير وقال: إن رسول اللَّه ﷺ نهاني عن ذلك، وقال: «**إنما يفعل ذلك النصارى، صوموا كما أمركم اللَّه، وأتموا الصوم كما أمركم اللَّه؛ و﴿أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾** [البقرة: ١٨٧]، **فإذا كان الليل فأفطروا**»[(١)].

١١ ـ وعن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: «حين صام رسول اللَّه ﷺ يوم عاشوراء وأمر بصيامه، قالوا: يا رسول اللَّه! إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: «**فإذا كان العام المقبل إن شاء اللَّه صُمنا اليوم التاسع**»، قال: فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول اللَّه ﷺ»[(٢)].

١٢ ـ وعن أم سلمة ـ رضي اللَّه عنها ـ قالت: كان رسول اللَّه ﷺ يصوم يوم السبت ويوم الأحد أكثر مما يصوم من الأيام، ويقول: «**إنهما يوما عيد المشركين، فأنا أحب أن أخالفهم**»[(٣)].

* ومن الحج:

١٣ ـ عن عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: «إن المشركين كانوا لا يفيضون من جمع[(٤)] حتى تشرق الشمس على «ثبير»[(٥)]، وكانوا

(١) **إسناده صحيح**: أخرجه أحمد (٥/ ٢٢٥)، وسعيد بن منصور، وعزاه الحافظ في «الفتح» (٤/ ١٦٤) للطبراني، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم في «تفسيريهما».

(٢) أخرجه مسلم (٣/ ١٥١)، والبيهقي (٤/ ٢٨٧) وغيرهما.

(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد (٦/ ٣٢٤)، والحاكم (١/ ٤٣٦) ومن طريقه البيهقي (٤/ ٣٠٣)، وهذا إسناد حسن، وقال الحاكم «صحيح»، ووافقه الذهبي، وصححه أيضًا ابن خزيمة كما في «نيل الأوطار» (٤/ ٢١٤)، ونسبه لابن حبان أيضًا. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ١٩٨): «رواه الطبراني في «الكبير» ورجاله ثقات، وصححه ابن حبان.

(٤) أي: مزدلفة.

(٥) جبل معروف عند مكة.

يقولون: أشرق ثبير كيما نغير، فخالفهم النبي ﷺ فدفع قبل أن تطلع الشمس»[١].

* ومن الذبائح:

١٤ ـ عن رافع بن خديج قال: «قلت: يا رسول اللَّه! إنا ملاقوا العدو غدًا، وليست معنا مُدى؟ قال ﷺ: **«ما أنهر الدم وذُكر اسم اللَّه فكُل، ليس السن والظفر، وسأحدثك: أما السن فعظم، وأما الظفر فمدى الحبشة»**[٢].

قال الحافظ في «الفتح»: قوله: **«وأما الظفر فمدى الحبشة»** أي: وهم كفار وقد نهيتم عن التشبه بهم. قاله ابن الصلاح وتبعه النووي.

* ومن الأطعمة:

١٥ ـ عن عدي بن حاتم ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: «قلت: يا رسول اللَّه! إني أسألك عن طعام لا أدعه إلا تحرّجًا، قال: **«لا تدع شيئًا ضارعت فيه نصرانية»**[٣].

أي: لا تتحرج فإنك إن فعلت ذلك؛ ضارعت فيه النصرانية، أي:

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ٤١٨)، وأبو داود (١/ ٣٠٥)، والنسائي (٢/ ٤٨ ـ ٤٩)، والترمذي (٢/ ١٠٤ ـ «بتحفة الأحوذي»)، والدارمي (٢/ ٥٩ ـ ٦٠)، وابن ماجه (٢/ ٢٤١)، والبيهقي (٥/ ١٢٤ ـ ١٢٥)، وأحمد (٨٤، ٢٠٠، ٢٧٥، ٣٥٨، ٣٨٥)، وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٢) أخرجه البخاري (٩/ ٥١٣ ـ ٥١٧ و٥٥٣)، ومسلم (٦/ ٧٨ و٧٩)، وأبو داود (٢/ ٦)، والنسائي (٢/ ٢٠٧)، والترمذي (٢/ ٣٥٠ ـ ٣٥١)، وابن ماجه (٢/ ٢٨٤)، والبيهقي (٩/ ٢٤٧)، وأحمد (٣/ ٤٦٣)، (٤/ ١٤٠).

(٣) **سنده حسن**: أخرجه أحمد (٤/ ٢٥٨، ٣٧٧)، والبيهقي (٧/ ٢٧٩)، والترمذي أيضًا (٢/ ٣٨٤)، وكذا رواه ابن حبان (١/ ٢٧٤، ٣٣٣).

شابهت لأجله أهل الملة النصرانية، وفي هذا تعليل النهي.

* ومن اللباس والزينة:

١٦ ـ عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: «رأى رسول اللَّه ﷺ عليّ ثوبين معصفرين، فقال: **«إن هذا من ثياب الكفار فلا تلبسها»**[(١)].

١٧ ـ وعن أبي أمامة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: «خرج رسول اللَّه ﷺ على مشيخة من الأنصار بيض لحاهم، فقال: **«يا معشر الأنصار! حمروا وصفروا، وخالفوا أهل الكتاب»**، قال: فقلنا: يا رسول اللَّه! إن أهل الكتاب يترسولون ولا يأتزرون؟، فقال رسول اللَّه ﷺ: **«ترسولوا وائتزروا وخالفوا أهل الكتاب»**، فقلنا: يا رسول اللَّه! إن أهل الكتاب يتخففون ولا ينتعلون! قال: **«فتخففوا وانتعلوا وخالفوا أهل الكتاب»**. قال: فقلنا: يا رسول اللَّه! إن أهل الكتاب يقصون عثانينهم[(٢)] ويوفرون سبالهم[(٣)]، قال: **«قصّوا سبالكم، ووفروا عثانينكم، وخالفوا أهل الكتاب»**[(٤)].

---

(١) أخرجه مسلم (٦/ ١٤٤)، والنسائي (٢/ ٢٩٨)، والحاكم (٤/ ١٩٠)، وأحمد (٢/ ١٦٢، ١٦٤، ١٩٣، ٢٠٧، ٢١١)، والرامهرمزي في «المحدث الفاصل».

وفي هذا الحديث النهي عن لبس ثياب الكفار الخاصة بهم.

(٢) العثانين: جمع عثنون، وهي: اللحية.

(٣) السبال: جمع سبلة «بالتحريك»، وهي: الشارب.

(٤) **إسناده حسن**: أخرجه أحمد (٥/ ٢٦٤)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٥/ ١٣١): رواه أحمد، والطبراني ورجال أحمد رجال «الصحيح»، خلا القاسم، وهو ثقة، وفيه كلام لا يضر. وحسّنه الحافظ في «الفتح» (٩/ ٢٩١).

وللحديث شاهد من رواية جابر بن عبد اللَّه عند الطبراني في «الأوسط» قال في آخره: **«وخالفوا أولياء الشيطان بكل ما استطعتم»**.

١٨ ـ وعن ابن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**خالفوا المشركين؛ احفوا الشوارب، وأوفوا اللحى**»(١).

١٩ ـ وعن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: «**جزوا الشارب، وأرخوا اللحى؛ خالفوا المجوس**»(٢).

٢٠ ـ وعن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال النبي ﷺ: «**إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم**»(٣).

٢١ ـ وعنه ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**غيّروا الشيب، ولا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى**»(٤).

٢٢ ـ وعن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: «كان النبي ﷺ يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه، وكان أهل الكتاب يسدلون أشعارهم، وكان المشركون يفرقون رؤوسهم، فسدل النبي ﷺ، ثم فرق بعد»(٥).

فأمر النبي ﷺ استقر أخيرًا على مخالفة أهل الكتاب حتى في الشَّعْر!

---

(١) أخرجه البخاري (١٠/ ٢٨٨)، ومسلم (١/ ١٥٣)، وأبو عوانة (١/ ١٨٩)، والبيهقي (١/ ١٥٠).

(٢) أخرجه مسلم (١/ ١٥٣)، وأبو عوانة (١/ ١٨٨)، وأحمد (٢/ ١٥٣، ٣٦٦)، والبيهقي (١/ ١٥٠).

(٣) أخرجه البخاري (١٠/ ٢٩١)، ومسلم (٦/ ١٥٥)، وأبو داود (٢/ ١٩٥)، والنسائي (٢/ ٢٧٣)، وابن ماجه (٢/ ٣٨١)، وأحمد (٢/ ٢٤٠، ٢٦٠، ٣٠٩، ٤٠١).

(٤) **إسناده حسن**: أخرجه أحمد (٢/ ١٦١ و٤٩٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٤٤٩).

(٥) أخرجه البخاري (٦/ ٤٤٧)، (٧/ ٢٢١)، (١٠/ ٢٩٧)، ومسلم (٧/ ٨٣)، وأبو داود (٢/ ١٩٣)، والنسائي (٢/ ٢٩٢)، وابن ماجه (٢/ ٣٨٣)، وأحمد (٢٢٠٩، ٢٣٦٢، ٢٦٠٥، ٢٩٤٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولهذا صار الفرق شعار المسلمين، وكان من الشروط المشروطة على أهل الذمة أن لا يفرقوا شعورهم»[١].

* ومن الآداب والعادات:

٢٣ ـ عن جابر بن عبد اللَّه ـ رضي اللَّه عنه ـ مرفوعًا: «**لا تسلّموا تسليم اليهود؛ فإن تسليمهم بالرؤوس والأكف والإشارة**»[٢].

٢٤ ـ وعن الشريد بن سويد ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: «مرّ بي رسول اللَّه ﷺ وأنا جالس هكذا، وقد وضعت يدي اليسرى خلف ظهري، واتكأت على أليةِ يدي، فقال: «**أتقعد قعدة المغضوب عليهم؟!**»[٣].

٢٥ ـ وعن سعد بن أبي وقاص ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**نظّفوا أفنيتكم، ولا تشبهوا باليهود، تجمع الأكباء[٤] في دورها**»[٥].

---

(١) «اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم» لابن تيمية ص(٨٢).

(٢) **سنده جيد**: أخرجه النسائي بسند جيد قاله الحافظ في «الفتح» (١١/ ١٢)، وقد أورده الهيثمي في «المجمع» بنحوه (٨/ ٣٨) ثم قال: «رواه أبو يعلى، والطبراني في «الأوسط» ورجال أبي يعلى رجال «الصحيح»: انظر «السلسلة الصحيحة» رقم (١٧٨٣).

(٣) **صحيح على شرط البخاري**: أخرجه أبو داود (٢/ ٢٩٥)، وأحمد (٤/ ٣٨٨)، والحاكم (٤/ ٢٦٩)، وصححه ووافقه الذهبي، وأخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٢/ ١٩٨/ ٣٠٥٧)، وصححه الألباني أيضًا في «جلباب المرأة المسلمة» ص(١٩٦ ـ ١٩٧).

(٤) جمع «كِبى» ـ بالكسر والقصر ـ: الكُناسة.

(٥) **حديث حسن**: أخرجه الدولابي في «الكنى» (٢/ ١٣٧) قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن اللَّه نظيف يحب النظافة، جواد يحب الجود، كريم يحب الكرم، طيب يحب الطيب، فنظّفوا....**»، وأخرجه الترمذي، ويتقوى الطريق الأول بما رواه سعد مرفوعًا بلفظ: «**طهروا أفنيتكم، فإن اليهود لا تنظف أفنيتها**»، أخرجه الطبراني في «الأوسط». وحسّن الحديث الألباني في «جلباب المرأة المسلمة» ص(١٩٧).

٢٦ ـ وعن عبد اللَّه بن مسعود ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إياكم وهاتان[1] الكعبتان الموسومتان اللتان تزجران زجرًا؛ فإنها ميسر العجم**»[2].

* متفرقات:

٢٧ ـ عن عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ سمعت النبي ﷺ يقول: «**لا تُطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم إنما أنا عبد اللَّه، فقولوا عبد اللَّه ورسوله**»[3].

والإطراء: هو المبالغة في المدح والغلو.

٢٨ ـ عن عبد اللَّه بن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**بعثت بين يدي الساعة بالسيف، حتى يعبد اللَّه وحده لا شريك له، وجُعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلة والصَّغار على من خالف أمري، ومن تشبّه بقوم فهو منهم**»[4].

فانظر ـ رحمك اللَّه ـ إلى التميّز حتى في الأشياء الظاهرة، فلا

---

(١) هكذا الرواية، وهي على لغة من يلزم المثنى الألف، وهي لغة صحيحة معروفة.

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد (٤٢٦٣)، والبيهقي (١٠/ ٢١٥)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٦٢٠٣)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٨/ ١١٣): «رواه أحمد، والطبراني، ورجال الطبراني رجال «الصحيح»، وقال الألباني في «جلباب المرأة المسلمة» ص(١٩٨ ـ ١٩٩): «فالحديث حسن أو صحيح والله أعلم».

(٣) أخرجه البخاري (٦/ ٣٨١) (١٢/ ١٢٤)، والترمذي في «الشمائل» (٢/ ١٦١)، والدارمي (٢/ ٣٢٠)، والطيالسي رقم (٢٥)، وأحمد (١٥٤، ١٦٤، ٣٣١، ٣٩١).

(٤) **إسناده صحيح**: أخرجه أحمد (٥١٤، ٥١١٥، ٥٦٦٧)، والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (٢/ ٧٣) وابن عساكر، وقد علق البخاري في «صحيحه» (٦/ ٧٥) بعضه، وقال ابن تيمية في «الاقتضاء» ص(٣٩): وهذا إسناد جيد، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (١/ ٣٤٢): «سنده صحيح»، وقال الحافظ في «الفتح» (١٠/ ٢٢٢): سنده حسن.

يشبه الزيّ الزيّ حتى يشبه القلب القلب.

فرضي اللَّه عن هذه الأمة أمة الغرباء:

غريبة تبتغي «الفرقان» رائـــدة بـــدريّة جلّ في أعماقهـا النسب

* * *

(٥١) ونختم هذه الخصائص بما ميّز الله به أفراداً من هذه الأمة:

فلقد فضّل اللَّه أفراداً من هذه الأمة وحباهم بما ليس في الأمم الأخرى، فأبو بكر وعمر من الدين السمع والبصر، وسمّى اللَّه أبا بكر في السماء صدّيقًا ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾ كما قال علي بن أبي طالب، والشيطان يفر من وجه عمر، إذا رآه في فج سلك فجًّا غيره، وعثمان ـ رضي اللَّه عنه ـ تستحي منه الملائكة، وسعد بن معاذ اهتز لموته عرش الرحمن، وخديجة يُسلّم عليها ربها، وعامر بن فهيرة تحمل جثمانه الملائكة، وزينب بنت جحش ـ رضي اللَّه عنها ـ يزوّجها اللَّه لنبيه ﷺ من فوق سبع سماوات، وعائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ يقرئها جبريل السلام، وفاطمة ـ رضي اللَّه عنها ـ سيدة نساء المسلمين، والعلاء الحضرمي يسير بجيش المسلمين على صفحة الماء، وسفينة مولى رسول اللَّه ﷺ يكلّم الأسد ولا يهابه، وأويس القرني لو أقسم على اللَّه لأبره، وكرامات الصحابة والأولياء والكمّل من هذه الأمة تفوق الأساطير ولكنها حقيقة أطيب من شذا الريحان.

* * *

* لطيفة:

✍ سبحان من قدّمنا على جميع الناس، وسقانا من معرفته أروى كاس، وجعل نبينا أفضل نبي رعى وسَاس، فلما فضّله على الأمة وأنعم علينا بعلو الهمة قال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾.

✍ أفي الأمم مثل أبي بكر الصديق، أو عمر الذي أغصّ كسرى بالريق، أو عثمان الصابر على مُرّ المذيق، أو عليّ بحر العلم الغمْر العميق، أو مثل حمزة والعباس؟ ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾.

✍ أفيهم مثل طلحة والزبير القرينين، أو سعد وسعيد هيهات من أين؟ ألهم صبر خبّاب وخبيب ومن مثل الاثنين؟ إن شبهناهم أبعد القياس. هل شجرة الرضوان في أشجارهم، هل وقعة بدر من أسْمارهم؟ إنما عرضت لهم غَزاة في جميع أعمارهم وجهادنا مع الأنفاس ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾.

✍ أين أصحاب الأنبياء من أصحابنا؟ هيهات ما القوم من أضرابنا، ولا ثوابهم في الأخرى مثل ثوابنا، نُتق الجبل فقالوا: أقلْنا ونحن قلنا في كتابنا: على العينين والراس ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾.

✍ ردّوا كتابهم وقد سُطّر وصك، وطلبوا صنمًا، وقيد الهجر قد فُكّ، وشكّوا عند الجبل وما فينا من شك، إن تشبيه المسك باللك[1]، وسواس ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾.

✍ غمرهم التغفيل وتناهى، فاعتقدوا للخالق أشباها، فقالوا: يوم اليمّ: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَهًا﴾ ونحن ما في عقائدنا التباس ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ

---

(١) اللك: نبات يصبغ به.

﴿أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾.

✍ آثر الصحابة الفقر والمجاعة، واشتغلوا عن الدنيا بالطاعة؛ وسألت النصارى مائدة المجاعة، إنما طلبوا قوت الأضراس ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾.

✍ أعند رهبانهم كزهد أُويس، أفي متعبّديهم كعامر بن قيس، أفي خايفهيم كالفضيل؟ هيهات ليس ضوء الشمس كالمقباس ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾.

✍ أفيهم مثل بشر ومعروف، أفي زهّادهم مذكور معروف، أفي طوائفهم طائفة صلّت وقد صلصلت السيوف ورنت الأقواس؟ ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾.

✍ أفيهم مثل أبي حنيفة ومالك، أو الشافعي الهادي إلى المسالك، كيف لا تمدحه وهو أجلّ من ذلك؟ ما أحسن بنيانه والأساس ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾.

✍ أفيهم أعلى من الحسن وأنبل، أو ابن سيرين الذي بالورع تُقبِّل، أو كأحمد الذي بذل نفسه وسبِّل؟ تاللَّه ما فيهم مثل ابن حنبل، ارفع صوتك بهذا ولا باس[1] ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾.

نحنُ الذين روى التاريخ قصّتَهم ... ونحن أعظمُ مَن في الأرضِ قد ظهرا
أما ترى الشمسَ غارتْ من مكارمِنا ... والبدرُ في نورِنا العُلْوِي قدْ سَهِرَا

✍ كان العالم قبل وصولنا غابة، كأن عليه جنابة، وكانت الدنيا

(١) «التبصرة» لابن الجوزي (١/ ٥٠٠ ـ ٥٠١).

ميلادنا في مأتم، تشكو وتتألم، فلما بزغ فجر رسولنا من البطحاء، أشرقت على نوره الأرض والسماء. نحن بعثنا إلى الدنيا النور، وأزلنا منها الظلم والفجور. أذّنّا في أذن الدنيا فآمنت، ومشينا على جبالها فتطامنت، أرضنا بدماء الشهداء تفوح، وقلوبنا بأسرار التوحيد تبوح، اندهش الدهر يوم طالع صفحة جلالنا، وهام الدهر يوم أبصر لوحة جمالنا، وتعجّب كل جيل يوم قرأ مكارم أجيالنا.

نحن خرجنا للعالم وفي قلوبنا قرآن نسكبه في قلب مَن وحّد وتشهّد، وفي أيماننا سيوف نقطع بها رأس من تمرّد وألحد، عندنا قداسة الإنسان، وقداسة البيان، وقداسة الزمان، وقداسة المكان.

✍ فقداسة الإنسان ماثلة في الرسول العظيم والنبي الكريم، وقداسة البيان ماثلة في القرآن، الذي أذهل الإنس والجان، وقداسة الزمان كامنة في عشر ذي الحجة ورمضان، وقداسة المكان في الحرم الطاهر، والمشعر الزاهر. ليس للزمان بدوننا طعم، وليس للتاريخ سوانا رسم، وليس للناس إذا أُغفلنا اسم، نحن شهداء على الناس، ونحن مضرب المثل في الجود والباس. كأن النور وُلِد معنا، وكأنّ البشر لفظ ونحن معنى، جماجمنا بالعزّ مدججة، وخيولنا بالعزائم مسرجة، نحن الأمة الوسط، لا غلط في منهجنا ولا شطط.

ابدأ بنا في رأس كُلِّ صَحِيفةٍ ... أسماؤُنا في أصلِها عُنوانُ
وإذا كَتَبْتَ روايةً شرقيّةً ... فحديثنا مِنْ ضِمْنِها تيجانُ

✍ زارنا بلال بن رباح، فصار مؤذن دولة الفلاح، وجاءنا سَلْمان من أرض فارس، فلما أسلم صار كأنه على قرن الشمس جالس، ووفد إلينا صهيب من أرض الروم، فأصبح من سادات القوم.

حتى ماؤنا يفوق كل ماء، فماء زمزم شفاء، ومن كل داء دواء.

في دارنا عائشة أم المكرمات، المبرَّأة من فوق سبع سماوات، وفاطمة البتول، بنت الرسول، طيبة الأصول.

نحنُ الذين على خُطَا أمجادهم ... وقف الزمان مُفاخراً مبهورا
تيجانُ عزتنا النجومُ فلا ترى ... غيْرَ الوفاء وصارِمًا مشهورا

✍ وإذا لم يبدأ التاريخ بنا فاعلم أنه منكوس، وإذا لم يُثْنِ علينا سفر المكارم فاعلم أنه منحوس. كسرنا سيوفنا في بدر، على رءوس أهل الكفر، ثم أرسلنا شظاياها لصلاح الدين، في حطين، فقهر بها الملحدين. ردّدنا في أُحد ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فسحقنا من جحد، وقطعنا دابر مَن فسد.

إذا بلغ الرضيعُ لنا فطامًا ... تَخِرُّ له الجبابرُ ساجدينا
ونشرَبُ إن وَرَدْنا الماء صَفْواً ... ويشربُ غيرُنا كَدَرًا وطينا

✍ نريد حضارة مفتاحها من الكعبة، ووسامها من غار حراء، ونشيدها من بدر، وتعاليمها من السماء.

إن الأرض للَّه، ليست لماركس ولا لينين ولا ستالين ولا ماوتس تونج ولا جورج واشنطن ولا ديجول.

إن العالم في قبضة اللَّه وليس مِلْكًا لحلف الناتو، ولا قاعدة للبنتاجون، ولا مكتبًا للكرملن. إن القرارات تصدر من قاعدة ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] وليس من مجلس الكونجرس، ولا من مجلس العموم واللوردات، ولا من مجلس الأمن ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

* **أخي:** يمِّم وجهك حيث صلى الأنبياء، وتهجد المرسلون، وسبّح الخليل، وأخرج موسى يده بيضاء، وتكلم عيسى في المهد، ووصل محمد سدرة المنتهى.

✍ نريد حضارةً من مكة حيث الوحي، والمدينة حيث الرسالة، والقدس حيث الإسراء والمعراج، وطور سيناء ديار الكليم، لا نريد عالمية هورشيما ولا نجاراكى، ولا فيتنام، لا نريد عالمًا من أيامه دير ياسين وصبرا وشاتيلا وقانا والبوسنة والهرسك وجروزني وحلبجة.

لا نريد عالم هتلر وموسولين وبن جوريون، وسلوبودان ملوسفتش، وبرجنيف ويلتسن، بل نريد عالم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾.

* **أخي:** أليس على أرضنا الوحي هبط، وفي ديارنا غيث الرسالة سقط، ومنا عُرِفت الهداية فقط؟.

أليس منا الصدّيق وعثمان، وعمر وثوبان، وعليّ وسلمان، وبلال وحسّان، منا خالد المقدام، والقعقاع الصمصام، منّا أويس، والأحنف ابن قيس، وأسماء بنت عُمَيْس.

أما صفّق لقدومنا الفرات والنيل، وهلّل لطلعتنا مضيق الدردنيل، نحن أساتذة الأكراد والتركمان، ومعلمو الإنجليز والألمان، أما اندهش من عبقريتنا شارلمان، بسماحة الصديق فتحنا الطريق، بدرّة الفاروق أدّبنا أهل العقوق، بصدق أبي ذر، قلنا الحق وهو مر.

فأنا النور حين يطغى ظلام ... وأنا النار حين يقسو الجليدُ
وإذا صرتُ في الحياة غريبا ... فأنا الدّر والجمان الفريدُ

✍ منّا من اهتز لموته عرش الرحمن، ومنّا من كلّمه اللّه بلا

ترجمان، ومنّا من غسّلته الملائكة يوم التقى الجمعان.

أذّنا في الحمراء، وصلّينا في الزهراء، ربطنا خيولنا على ضفاف اللوار[1]، وسجدنا على صحراء سنجار، وتلونا القرآن على جبال قندهار، صلّينا به في صنعاء، وتهجّدنا به في كابل، وفسّرناه في تونس، وشرحناه في دمشق، وخشعنا له في بغداد.

أزاهيرنا مؤمنات العبيرِ وأطيارنا قانتات الزَّجَلْ

✍ رفعنا الإيمان في الهند، ونشرنا المعرفة في السند، أسرنا الجبابرة ثم أعتقناهم، وملكنا الأكاسرة ثم أطلقناهم، نكبّر فتسقط القلاع، نؤذّن فتهتز التلاع، بللنا مواطن السجود بالدموع، وكنّا في صلاتنا كالسواري من الخشوع.

نرتّل القرآن فتقف على أصواتنا المطايا، نادى منادينا: يا أيتها النفوس من الموت اشربي، ويا خيل اللّه اركبي، فجمّد اللّه لنا الماء، وظلّل علينا الغمام من السماء.

نحنُ هل تدري بنا للناس فجرُ قصدنا جنة مولانا وأجْرُ

قد ملأنا الأرض عدْلاً وارِفًا وسِوانا في الوَرى عُجَرٌ وبُجَرُ

✍ أمتنا عالمية وليس هذا لأمة سوانا، رسالتنا عالمية للجن والإنس، ورسولنا عالمي للأبيض والأسود، وقرآننا عالمي للثقلين.. وإسلامنا للناس كافة، وقبلتنا للدنيا جميعًا. فنحن الناس، ولنا الزمان والمكان، وعندنا القرآن، وإلهنا الرحمن، ونحنُ بعثنا للإنس والجان ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[2].

---

(١) نهر في جنوب فرنسا.

(٢) من «مقامات القرني».

تثبيت
أفئدة المؤمنين

تثبيت أفئـــدة المؤمنين

كم هـو جميـل ورفيع الـثبات علـى دين اللَّـه.. أرفع من الحـياة وأنقى.. يولد معه المرء ميلادًا جديدًا.. من عقيدته لا من رحم أمه.

كم هـو عظيم أن يـكون المرء لـلإسلام وبالإسـلام.. يستمـسك بالعروة الـوثقى، ويعلم أن ما عنـد اللَّه خير وأبقى.. وما فـائدة الحياة والعيش من غير الثبات على دين.. أنـتزعزع وإسلامنا عميق في منابت التاريخ.. ضارب في جذور الزمن.. نابـع من السماء.. أُنزل إلينا من اللَّه.

✍ أعن الجنة نـفر؟!. أنرغب عن اللَّه وجواره ورؤيـته؟!.. أيُملك القلب صبرًا عن العيش مع النبـيين في دار غرسها الرحمن بيده؟.. أنفرّ عن الحور العين؟!!

❑ أيصدق فينا قول القائل:

كـل يـــــوم تـتـلـوّنْ غـيـر هـذا بـك أجـمـــلْ

✍ أبعـد أن يؤتينـا اللَّه من آيـاته.. ويخـلع علينـا من فضـله.. ويدعونـا للهدى والارتفـاع يكون الهبـوط من الأفق المشرق والالـتصاق بالطين المعتم؟ فيكون المرء غرضًا للشيطان لا يقيه منه واق ولا يحميه منه حام، ويكون مسـخًا بائسًا نكدًا شائـه الكيان، هابطًا عن مـكان الإنسان إلى مكان الحيوان.. قال تعالى: ﴿ **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾**

﴿سَاءَ مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٥ - ١٧٧].

كالكلب الذي يتمرغ في الطين.. وكان لهم من الإيمان جناح يرفّ به إلى عليين، كان من فطرته الأولى في أحسن تقويم، فإذا به ينحط إلى أسفل سافلين.

إذا به في لهاث لا ينقطع، كأنما يعض بالنواجذ على مكان له في الحضيض.. في جهنم يخشى أن ينازعه إياه أحد، فهو ما يني يقدّم كل يوم ما يثبت به مكانه هذا! وما يني يلهث وراء هذا المطمع لهاثًا لا ينقطع حتى يفارق هذه الحياة الدنيا.

هل هناك أشقى من إنسان ينسلخ ويتعرّى من الهدى بعد أن عرفه؟!، ويمسي مطرودًا من رحمة اللَّه التي وسعت كل شيء، فلا يهدأ ولا يطمئن ولا يسكن إلى قرار، ويهبط إلى عالم الحيوان اللاصق بالأرض، الحائر، القلق، اللاهث لهاث الكلب أبدًا، التابع الذليل للشيطان.

أيرضى عاقل بعد أن عرف الطريق إلى اللَّه أن يكون حاله كالكلب الذي يأتي إلى السبع ملك الغابة.. فيقول له: يا ملك الغابة! غيّر لي اسمي؛ فإن كلب اسم قبيح، فيقول له السبع: نعطيك قطعة من اللحم تبقى عندك إلى الليل، فإن بقيت عندك إلى الليل.. أعطيناك ما تريد.

فإذا جاء وقت الظهيرة بقيظه وهَجيره، يشتد بالكلب الجوع فينظر إلى اللحم ويلتهمه ويقول: كلبٌ كلب.. إن كلبًا اسم جميل، ثم يأتي إلى السبع ليلاً لتغيير اسمه.. فيقول له السبع: «ائتمناك على قطعة من

اللحم فلم تحفظها فكيف نأتمنك على الاسم الجميل؟!

* قال تعالى: ﴿ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [الحجرات: ١١].

. . أبعد أن كنت القانت المتهجد الصابر الصائم التقي الأمين الأواه الخاشع المتبتل المنيب ترضى بأن تكون الكذاب اللئيم الخائن الغادر الشاك الجاحد المجادل الفاسق الفاجر المحاد للّه ولرسوله؟.

. . أفغير طريق اللّه تريدوننا نسلك أيها الغافلون؟

يا من كان له وقت مع اللّه فذهب، يا من كان له قلب فانقلب، نسيم الأسحار يسأل عنك، والصيام يعاتبك. . كنت مع الرعيل الأول فما الذي ردّك إلى الساقة. . كنت تحب الجميل وما تغيّر المحب. . كنت تؤثر جوارهم. . فلما نأيت عن دارهم؟. .

أترضى أن تكون رفيق قومٍ ... لهم زاد وأنت بغير زاد

واللّه لو بعت لحظة مع مولاك بملك قارون في عمر نوح لغُبنت وما ربحت. أما تكفي البساتين في قلبك. . أما تحس الوحشة بعد أن فقدت الأريج والعبير وطيب الطيبين؟.

قف بالديار فهذه آثارهم ... تبكي الأحبة حسرة وتشوقًا
كم قد وقفت بربعها متسائلاً ... عن أهلها مستخبرًا أو مشفقًا
فأجابني داعي الهوى في ربعها ... فارقت من تهوى فعزّ الملتقى

✍ حذار يا أخي أن يُقال لك في بعض غدراتك. . اذهب فلا عفوت عنك أبدًا. . آدم لم يسامح بلقمة. . ودخلت النار امرأة في هرّة عذّبتها، وخالف موسى الخضر في طريق الصحبة ثلاث مرات فقال:

هذا فراق بيني وبينك. أما تخشى يا من نكثت العهد والميثاق أن يُقال لك هذا فراق بيني وبينك؟ إن كانت آثار القطيعة ظاهرة في قلبك وحالك في الدنيا فكيف بحالك في الآخرة؟!

إذا كنت تبكي وهم جيرةٌ فكيف تكون إذا ودّعوا

* قال تعالى: ﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ...﴾ [الأنعام: ٧١].

أيتوزّع القلب ويتشتت، أيتفرق الإحساس بين الهدى والضلال، أيذهب الإنسان في التيه.. إنه إذًا لمخلوق تعيس.. ويا لعذابه النفسي.. فما أمرّ عذاب التأرجح والذبذبة والقلقلة.. إنه بؤس مرير حين يترك الإنسان طريق الهدى وينحرف عنه.. إنه شقاء تراه العين وتلمسه اليد.. ويصرخ منه الفؤاد.. فالبعد عن طريق اللَّه بعدٌ عن كل نور.. كل نافذة مضيئة، وكل نسمة رخيّة... وليس بعده إلا الهجير الكالح.

✍ الذي لا يثبت على الإسلام والإيمان.. الذي يتأرجح يخسر خسرانًا مبينًا.. يخسر الطمأنينة والسكينة والثقة والهدوء والرضى.. يخسر دنياه، ويخسر الآخرة.. وما فيها من نعيم وقربى ورضوان، ويا له من خسران!

✍ إلى أين يتجه من لا يثبت مع اللَّه ومن يتذبذب؟! أبخيل مولاه فيبخّله عبده؟!، أليست الدنيا والآخرة والكرم والفضل والجود بيده؟ أبواب العباد مغلقة، ومفاتيح الأبواب بيده، وبابه مفتوح لمن دعاه، كيف ينقص ملك هو قيّمه؟

تصدّ وتنأى عن حبيبك دائمًا فأين عن الأحباب ويحك تهرب؟!

✍ إن الإيمان ليست كلمة تقال، إنما هو حقيقة ذات تكاليف، وأمانة ذات أعباء، وجهاد يحتاج إلى صبر، وجهد يحتاج إلى احتمال.

✍ إن الثبات على الإيمان وعهد اللَّه وميثاقه هبة محضة من اللَّه عز وجل، وتفضّل من المنان الودود. . إن تثبيت القلوب هو فعل اللَّه الكريم بالقلوب الوضيئة، لا يهبه إلا لمن هم أهل له، وفي قلوبهم تجرد وإخلاص، يؤثرون ما عند اللَّه على المتاع والإغراء، يثبتون وكل من حولهم غارقون في تيار الضلالة، يثبتون أمام فتنة النفس والشهوة، وجاذبية الأرض، وثقلة اللحم والدم، والرغبة في الدعة والاطمئنان.

يستقيمون ويثبتون على صراط الإيمان والاستواء على مرتقاه، بالرغم من المعوّقات والمثبطات في أعماق النفس، وفي ملابسات الحياة، وفي تصورات أهل الزمان.

✍ يثبتون ويحملون حقيقة الإيمان غالية في قلوبهم، ويؤتمنون على الأمانة الكبرى وهي عزيزة على نفوسهم، تشرق بها قلوبهم، ويصيرون منارات في الأرض تشع بنور السماء.

✍ هذا الثبات يرفع من قدر صاحبه ويعليه، وهو قيام بين يدي اللَّه عز وجل على حقيقة الصدق والوفاء بالعهد.

وهذا الثبات لبُّه ومعناه الاستقامة: الاستقامة على محض التوحيد كما فسّرها الصديق: «ألا تشرك باللَّه شيئًا» أو الاستقامة على الأمر والنهي، ولا تروغ روغان الثعالب، كما قال الفاروق عمر، أو الاستقامة على الإخلاص كما قال عثمان ـ رضي اللَّه عنه ـ: «أخلصوا للَّه العمل»؛ أو الاستقامة على محبته وعبوديته كما فسّرها بذلك شيخ الإسلام ابن تيمية.

✍ وهذا الثبات والاستقامة يتعلق بالأقوال، والأفعال، والأحوال، والنيَّات.

▣ عن عبد اللَّه بن المبارك قال: قيل لوهيب بن الورد: أيجد طعم العبادة من يعصي اللَّه؟ قال: لا، ولا مَن همّ بمعصية[1].

* أمور تعين على الثبات أو وسائل الثبات على دين اللَّه[2]:

تثبيت القلوب نعمة من اللَّه يمنّ بها على من سبقت لهم من ربهم الحسنى وجعل اللَّه لهم أسبابًا ظاهرة تأخذ بها هذه الأنفس الطاهرة، من هذه الأسباب:

١ ـ الإخلاص:

من وجد اللَّه فماذا فقد، ومن فقد اللَّه فماذا وجد؟!

إذا عرف الإخلاص طريقًا إلى قلب العبد بلغ العبد غاية المراد.

✍ ومن الإخلاص أن يغلم العبد ويوقن أنه باللَّه لا بنفسه، وأنه لولا فضل اللَّه عز وجل عليه ورحمته إياه ما زكا أبدًا، قال اللَّه عز وجل لنبيه إسماعيل عليه السلام: ﴿**يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ**﴾ [الصافات: ١٠٢].

* وقال تعالى: ﴿**وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا**﴾، وقال تعالى: ﴿**وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي**

(١) «الحلية» (٨/ ١٤٤)، و«السير» (٧/ ١٩٩).

(٢) وقد أفردها في كتيب مبارك فضيلة الشيخ محمد صالح المنجد، وذاع صيتها وكتب لها القبول لإخلاص مؤلفها ـ نحسبه كذلك، بارك اللَّه فيه وفي جهده ـ وقد ضممنا إليها وسائل أخر، وصغناها بعبارتنا، والفضل للسابق إلى الخيرات الشيخ المنجد ـ حفظه اللَّه ـ.

﴿قُلُوبِكُمْ﴾، وقال تعالى عن أهل الجنة بعد دخولهم الجنة: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ فينظر العبد إلى ثباته مثل نظره إلى صفاته الخَلْقية، فالمنان والذي جاد هو اللَّه عز وجل.

وشيء آخر قول اللَّه عز وجل: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢] متضمن لكنز عظيم، وهو أن كل مراد إن لم يرد لأجله ويتصل به فهو مضمحل منقطع، فإنه ليس إليه المنتهى، وليس المنتهى إلا الذي انتهت إليه الأمور كلها.. وكل قلب لا يصل إليه فهو شقي محجوب عن سعادته وفلاحه.

وتحت هذا سر عظيم من أسرار التوحيد، وهو أن القلب لا يستقر ولا يطمئن ولا يسكن إلا بالوصول إليه، وكل ما سواه مما يُحَب ويُراد فمراد لغير، فمن كان انتهاء محبته ورغبته وإرادته وطاعته إلى غيره بطل عليه ذلك، وزال عنه وفارقه أحوج ما يكون إليه، ومن كان انتهاء محبته ورغبته ورهبته وطلبه هو سبحانه ظفر بنعمه ولذته وبهجته وسعادته أبد الآباد[1].

إن في القلب شعث: لا يلمه إلا الإقبال على اللَّه.

وفيه قلق: لا يسكنه إلا الاجتماع عليه، والفرار منه إليه، وفيه طلب شديد لا يقف دون أن يكون هو وحده مطلوبه.

فمن ذاق شيئًا من معرفة ربه ومحبته، ثم أعرض عنها، واستبدل بغيره منها، يا عجبًا له بأيِّ شيء تعرّض؟ وكيف قرّ قراره، فما طلب الرجوع إلى سنائه وما تعرض؟

---

(١) «الفوائد» لابن القيم (١٩٦ ـ ١٩٧).

✍ أي قلب يذوق حلاوة معرفة اللَّه ومحبته وإرادة وجهه، ثم يركن إلى ما سواه؟ هذا ما لا يكون أبدًا.

ومن ذاق شيئًا من ذلك وعرف طريقًا موصلة إلى اللَّه عز وجل ثم تركها وأقبل على شهواته ولذاته وقع في آثار المعاطب، وأودع قلبه سجون المضايق، وترحلت أفراحه، وأقبلت آلامه وحسراته، فقد أبدل مكان الأنس إيحاشًا؛ ذلك بأنه عرف طريق اللَّه ثم تركها وسلا عنها، مكبًّا على وجهه، فأبصر ثم عمِي، وعرف ثم أنكر، وأقبل ثم أدبر، ودُعي فما أجاب، فهو مقيّد القلب عن انطلاقه في فسيح التوحيد، وميادين الأنس ورياض المحبة وموائد القرب، هبط من الأوج الأعلى إلى الحضيض الأدنى.

❑ قيل لأحد عباد السلف: «فلان عرف طريق اللَّه ثم رجع إلى المعاصي؟ فقال: لو وصلوا إليه ما رجعوا». . للَّه دره لقد سبر غور القضية كلها. . لو وصلوا إلى اللَّه ما رجعوا، إي واللَّه. . عفوه يستغرق الذنوب فكيف رضوانه؟! . . ورضوانه يستغرق الآمال فكيف حبه؟! وحبه يدهش العقول فكيف وده؟! ووده ينسي ما دونه فكيف لطفه؟!

✍ إذا اطلع الخبير عز وجل على ما في الضمير فلم يجد في الضمير غير الخبير، جعل فيه سراجًا منيرًا.

وبالإخلاص يحفظ القلب من الإغلال والخيانة ونكث العهد مع اللَّه والتلفت إلى ما سواه.

● قال رسول اللَّه ﷺ: **«ثلاث لا يُغَلّ عليهن قلب امرئ مؤمن: إخلاص العمل للَّه، والمناصحة لأئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم، فإن دعاءهم**

يحيط من وراءهم»[1] .

ونظرة واحدة في التاريخ تريك أثر الإخلاص في ثبات العبد:

✍ انظر كيف ثبت الصديق في مواطن تتزلزل فيها الجبال.. عند موت النبي ﷺ وقال: «أيها الناس، من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات.. ومن كان يعبد اللَّه، فإن اللَّه حي لا يموت».

✍ وكيف ثبت المؤمنون المخلصون في وقت الزلزلة الشديدة.. في يوم الأحزاب.. في حين تضعضع بنيان المنافقين وفضحهم رياؤهم..

* قال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢].

٢ـ الصدق:

الصدق أساس بناء الدين، وعمود فسطاط اليقين، وحمل الصدق كحمل الجبال الرواسي لا يُطيقه إلا أصحاب العزائم.

قال الهروي: في درجات الصدق:

«الدرجة الأولى: صدق القصد. وبه يصح الدخول في هذا الشأن، ويُتلافى به كل تفريط، ويُتدارك به كل فائت، ويعمر به كلّ خراب.

وعلامة هذا الصادق: أن لا يتحمل داعية تدعوه إلى نقض عهد، ولا يصبر على صحبة ضدّ، ولا يقعد بحالٍ عن الجدّ».

---

(١) صحيح: رواه البزار، وقال المنذري في «الترغيب والترهيب»: إسناده حسن، وقال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ٥): صحيح.
والإغلال: وهو الخيانة في كل شيء.

قال ابن القيم في «مدارج السالكين» (٢/ ٢٧٩ ـ ٢٨٠): «يعني بصدق القصد: كمال العزم، وقوة الإرادة، بأن يكون في القلب داعية صادقة إلى السلوك، وميل شديد يقهر السرّ على صحة التوجه. فهو طلب لا يمازجه رياء ولا فتور، ولا يكون فيه قسمة بحال، ولا يصح الدخول في شأن السفر إلى اللَّه والاستعداد للقائه إلا به.

قال: «ويتلافى به كل تفريط»، فإنه حامل على كل سبب ينال به الوصول، وقطع كل سبب يحول بينه وبينه. فيصلح من قلبه ما مزّقته يد الغفلة والشهوة، ويُعمِّر منه ما خرّبته يد البطالة، ويُوقد فيه ما أطفأته أهوية النفس، ويَلُمُّ منه ما شعَّثه يد التفريط والإضاعة.

وقوله: «وعلامة هذا الصادق: لا يتحمل داعية تدعو إلى نقض عهد»: يعني: أن الصادق حقيقة: هو الذي انجذبت قُوى روحه كلها إلى إرادة اللَّه وطلبه، والسير إليه، والاستعداد للقائه. ومن تكون هذه حاله: لا يحتمل سببًا يدعوه إلى نقض عهده مع اللَّه بوجه.

تضيق بنا الدنيا إذا غبتمُ عنا ... وتزهق بالأشواق أرواحنا منا
بعادكم موتٌ وقربكم حَيًا ... ولو غبتمُ عنا ولو نفَسًا متنا
نعيش بذكراكم ونحيا بقربكم ... ألا إن تذكار الأحبة ينعشنا

«ولا يصبر على صحبة ضدّ»: الضدّ: هم أهل الغفلة، وقُطّاع طريق القلب إلى اللَّه، فإن هذا لمّا استحكمت الغفلة عليه كما استحكم الصدق في الصادق، أحسّت رُوحه بالأجنبية التي بينه وبينه بالمضادة، فاشتدت النفرة، وقوي الهرب. وبحسب هذه الأجنبية وإحساس الصادق بها: تكون نفرته وهربه عن الأضداد» فلا يصحب أهل الغفلة ولا يأنس بهم، وفي هذا أكبر العون على الثبات. فلا يقعد عن الجدّ بحال، فلا

تراه إلا جادًّا وأمره كله جدّ ولا يتمنى الحياة إلا للحق.

✍ ومن معاني الصدق الصدق في العزم: والصادق في عزمه هو الذي تصادف عزيمته في الخيرات كلها قوة تامة ليس فيها ميل ولا ضعف ولا تردّد، بل تسخو نفسه أبدًا بالعزم المصمِّم الجازم على الخيرات.

✍ أما الصدق في الوفاء بالعزم: فإن نفس الصادق تسخو بالعزم في أشد الأحوال، إذا حُقت الحقائق، وهاجت الشهوات، أو بلغت القلوب الحناجر لا تنحل العزيمة ويتحقق الوفاء في أبهى صوره.

* قال تعالى: ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً**﴾ [الاحزاب: ٢٣].

❑ عن أنس بن مالك ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: «عمِّي أنس بن النضر ـ سُمِّيت به ـ لم يشهد بدرًا مع رسول اللَّه ﷺ، فكبر عليه، فقال: أول مشهد قد شهده رسول اللَّه ﷺ غبتُ عنه!! أما واللَّه، لئن أراني اللَّه مشهدًا مع رسول اللَّه ﷺ، ليرينَّ اللَّه ما أصنع. قال: فهاب أن يقول غيرها، فشهد مع رسول اللَّه ﷺ يوم أُحد، من العام المقبل، فاستقبله سعد بن معاذ، فقال: يا أبا عمرو إلى أين؟ قال: واهًا لريح الجنة!! أجدها دون أحد. فقاتل حتى قُتل، فوُجد في جسده بضع وثمانون، من بين ضربة وطعنة ورمية. قالت عمتي الرُّبيع بنت النضر: فما عرفتُ أخي إلاّ ببنانه. ونزلت هذه الآية: ﴿**رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً**﴾»[1].

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي في «جامعه» في كتاب التفسير، وقال: حسن صحيح، والنسائي في «الكبرى»، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» رقم (٢٥٥٧)، وهو عند البخاري مختصراً: أن هذه الآية نزلت في أنس بن النضر، وهو عند مسلم أيضًا.

قال أبو تراب النخشبي: «إذا صدق العبد في العمل وجد حلاوته قبل أن يعمله، فإذا أخلص فيه وجد حلاوته وقت عمله». ومتى وجد العبد حلاوة العمل ثبت عليه.

للَّه در أنس بن النضر من صادق وجد ريح الجنة قبل أن يقاتل!

«وعن القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أخي بني عدي بن النجار قال: انتهى أنس بن النضر عم أنس بن مالك إلى عمر بن الخطاب وطلحة بن عُبيد اللَّه، في رجال من المهاجرين والأنصار ـ رضي اللَّه عنهم ـ، وقد ألقوا أيديهم، فقال: فما يجلسكم، قالوا: قُتل رسول اللَّه ﷺ. قال: فما تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا، فموتوا على ما مات عليه رسول اللَّه ﷺ، ثم استقبل القوم فقاتل حتى قُتِل»[1].

فما أشد حاجة من يريد الثبات إلى الصدق: الصدق في المجاهدة، والصدق في الدعاء، الصدق في التوكل.. الصدق في الاستقامة.

٣ـ التزام عقيدة أهل السنة والجماعة:

التزام عقيدة السلف خير القرون ونور العيون، أهل الاتباع لا الأبتداع، أهل الرواية والسماع، أهل الألفة والاجتماع، نزل الوحي بناديهم، وسارت السنة من بواديهم، شهدوا التنزيل، وعرفوا التأويل، قولهم سديد، وفعلهم رشيد، ومنهجهم حميد، ومذهبهم فريد، اعتصموا بالدليل، وتركوا القال والقيل، فهم صفوة كل جيل، وخلاصة كل قبيل:

---

(١) «البداية والنهاية» (٤/ ٣٤).

هُمُ النجومُ مسائلُها إذا التبستْ عليكَ عند السُّرى يا صاحبي السُّبُلُ
اتبعْ طريقتَهم اعرف حقيقتَهُمْ اقرأ وثيقتَهم بالحبِّ يا رَجلُ

السلف أهدى الناس سبيلا، وأصدقهم قيلا، وأرجحهم تعديلا.

هم أعلام يُهتدى بهم في بيداء الضلالة، وهم أقمار يُستضاء بها في ليل الجهالة، هم الموازين الصادقة للمذاهب، وهم المعين العذب لكل شارب، وهم الرعيل المختار المقتدي به كل طالب.

سبقوا بالإيمان، وحب الديان، والعمل بالقرآن، ونيل درجة الإحسان.

إلى السلف أنتسب؛ لأنني رضعت منهجهم، ويحرم من الرضاع ما يحرم من النسب، والمبتدعة ليسوا منا ولا إلينا؛ لأن البقر تشابه علينا.

إذا أتاني كتاب مختوم، عليه توقيع المعصوم، لثمته بدموعي وأنفاسي، ووضعته على راسي، وقلت: سمعًا وطاعة، لصاحب الحوض والشفاعة.

فما لك لا تهتدي في المسالك، وتقع في المهالك؟ نناديك إلى ابن حنبل، فتذهب إلى أحمد بن أبي دُؤاد المغفّل، نقول رافق إبراهيم بن أدهم، فترافق الجعد بن درهم، تهجر الصادق السلفي يحيى بن معين، وتصاحب ابن سينا وابن سبعين، ويعجبك كلام ابن الراوندي اللعين؟! عليك بمجلس مالك وسفيان، واهرب من الجهم بن صفوان، عندنا حمّاد بن زيد، وعندهم عمرو بن عُبيد.

السلف أطهر من ماء الغمام، وأزكى من المسك والخزام، هجروا العلوم المنطقية أو القضايا السفسطية، والعقائد القرمطية.

لدينا أحمدان، ولديهم أحمدان، صادقان وكاذبان، عندنا أحمد بن حنبل، إمام السنة المبجّل، وعلاّمة الحديث المفضّل، وأحمد بن تيمية، مجدّد الأمة الإسلامية، صاحب التدمرية والحموية.

وعندهم أحمد بن أبي دؤاد، صاحب البدعة والعناد، والخلاف والفساد، وأحمد غلام مرزا قاديان، حامل الزور والبهتان، والدجل والطغيان.

❑ عندنا حمّادان، وعندهم حمّادان، عندنا حمّاد بن زيد، الراوية المفيد، والمحدث المجيد، وحمّاد بن سلمة، نصب للصدق علَمه، وأجرى في العلم قلمه، وعندهم حمّاد عجرد، الشاعر المعربد، والضال الملحد، وحمّاد الراوية صاحب الأفكار الخاوية»[1].

عقائد أهل البدع، عقائد في الخفايا، يُدَس بها في الزوايا، لا تورث اليقين، وإنما هي الظن والمراء والتخمين.

ولله در إمام الهدى القائل: «من جعل دينه عُرضة للخصومات أكثر التنقّل».

❑ قال الشافعي: ما ارتدى أحد بالكلام فأفلح»[2]، وقال: «لو علم الناس ما في الكلام والأهواء لفرّوا منه كما يفرّون من الأسد»[3].

❑ وقال الزجّاج النحوي، من أفنى عمره في طلب الخلاف، لم يصحّ له مأوى يأويه، ولا محمل يكون فيه»[4].

---

(١) ملخصًا من المقامة السلفية من كتاب «مقامات عائض القرني» ـ نشر مكتبة الصحابة ـ الإمارات.

(٢) «ذم الكلام» للهروي (٤/ ٢٨٥).

(٣) المصدر السابق (٤/ ٣٣).

(٤) «ذم الكلام» (٤/ ٣٦٢).

✍ كيف يرزق اللَّـه الثبات قومًا متحـيرين كثر في باب العـلم باللَّه اضطرابهم، وغلظ عن معرفة اللَّه حـجابهم، وأخبر الواقف على نهايات إقدامهم بما انتهى إليه من مرامهم وأنه في الشك والحيرة، حيث يقول:

لقد طفت في تلك المعاهد كلها ... وسيَّرْتُ طرفي بين تلك المعالم
فلم أرَ إلا واضعًا كفّ حائر ... على ذَقَنٍ أو قارعًا سِنّ نادمِ[1]

❑ وقال فخر الدين الرازي في كتابه «أقسام اللذات»:

نهاية إقدام العقول عقالُ ... وأكثر سعي العالمين ضلالُ
وأرواحنا في وحشة من جسومنا ... وغاية دنيانا أذًى ووبالُ
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه قيلَ وقالُوا

❑ وقال الجويني أبو المعالي إمام الحرمين:

«لقد خضت البحر الخضمّ، وتركت أهل الإسلام وعلومهم، وخضتُ في الذي نهوني عنه، والآن إن لم يتداركني ربي برحمته فالويل لي، وها أنا ذا أموت على عقيدة أمي».

❑ وقال آخر: أكثر الناس شكًّا عند الموت أصحاب الكلام.

❑ وقال الخونجي الشافعي عند موته: «اشهدوا عليّ أني أموت وما عرفت شيئًا إلاّ أن الممكن يفتقر إلى واجب» ثم قال: «والافتقار أمر عدمي فلم أعرف شيئًا».

---

(١) وقد ردّ الإمام الصنعاني عليهما فقال:

لعلّك أهملت الطواف بمعهدِ الر ... سول ومن والاه من كل عالم
فما حار من يُهدى بهدي محمد ... ولست تراه قارِعًا سنّ نادم

انظر: «ديوان الصنعاني» ص(٣٤٥).

كيف يثبت على الإيمان هؤلاء الحيارى المنقوصون المحجوبون المتهوّكون أفراخ المتفلسفة وأتباع الهند واليونان، وورثة المجوس والمشركين وضلاّل الصابئين وأشباههم وأشكالهم.. وأين هؤلاء من ورثة الأنبياء مصابيح الدجى وأعلام الهدى، الذين بهم قام الكتاب وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا.

✍ هذه العقيدة المصفّاة تعطي العبد التصور الواسع الرحيب لحقيقة الأشياء والقيم والاهتمامات والغايات.. يعرف ويعلم لماذا جاء، كما يعرف أين المقرّ، ولا يحار بين شتى الفكر فيقطع رحلة الحياة بخطا ثابتة، مكشوف البصيرة، مأنوس الضمير، يعلم أنه لم يخلق عبثًا، ولن يترك سدى، ولن يمضي مفردًا.

ومن هذه المعرفة تختفي مشاعر القلق والشك والحيرة الناشئة عن عدم معرفة المنشأ والمصير، وعدم رؤية المطوي من الطريق، وعدم الثقة بالحكمة التي تكمن وراء مجيئه وذهابه ووراء رحلته في ذلك الطريق.

❑ لا يكون حاله كحال الخيّام القائل:

لبستُ ثوب العمر لم أستشرْ ... وحِرْتُ فيه بين شتى الفكر
وسوف أنضو الثوب عني ولمْ ... أدْرِ لماذا جئت أين المفر

❑ أو كما يقول القائل:

وقف الكون حائرًا أين يمضي؟ ... ولماذا وكيف لو شاء يمضي؟
عبث ضائع وجهد غبين ... ومصير مُقنَّع ليس يُرضي

فالمؤمن يعرف طريقه بقلب مطمئن، وضمير مستريح، في طمأنينة وثقة ويقين يؤمن بالقضاء والقدر فيختفي شعور الضياع والقلق، يعلم أنه

ليس هناك تعب ضائع، يرى عبودية الكائنات لربها، وهذا كسب ضخم في عالم الشعور وعالم التفكير، والأعصاب.

✍ يعلم الرجل من أهل السنة والجماعة معنى التوكل على اللَّه عز وجل فيذوق حلاوته ولا يضطرب.

✍ يعلم الرجل من أهل السنة عقيدته في الإيمان بالقضاء والقدر، و«أن اللَّه قدّر مقادير الخلائق قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة» كما قال رسول اللَّه ﷺ فيقدم على عظائم الأمور بثبات وعزم وثقة.

فيصطدم بالشدائد التي تزلزل، والنوازل التي تزعزع، فيثبت ولا يضطرب، ويثق فلا يرتاب عندما يدلهم الأفق ويظلم الجو، وتتناوحه العواصف والرياح.. وله من العبودية للوكيل الكافي ما يثبته على الطريق.. وهو يحدو بهدي السماء ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾.

✍ يعلم أن الإيمان تصديق القلب باللَّه ورسوله وعمل ونطق بالشهادتين، تصديق لا يرد عليه شك ولا ارتياب، تصديق مطمئن ثابت مستيقن، لا يتزعزع ولا يضطرب، ولا تهجس فيه الهواجس، ولا يتلجلج فيه القلب والشعور.. ومتى تذوق القلب حلاوة هذا الإيمان واطمأن إليه وثبت عليه، جرت منه الأعاجيب في واقع الحياة وفي دنيا الناس وكم سجّل التاريخ ألوفًا وألوفًا من النماذج في كل اتجاه، كلها قمم على أعلى مستوى بلغته البشرية، ثبتوا على طريق الإيمان وتذوقوا معناه.

✍ إن هذه العقيدة المصفّاة، التي كُحِّلت بالوحيين هي الركيزة الثابتة في حياة المؤمن، تثبته، تضطرب الدنيا من حوله فيثبت هو على هذه

الركيزة، وتتجاذبه الأحداث والدوافع فيتشبث هو بالصخرة التي لا تتزعزع، وتتهاوى من حوله الأسناد فيستند هو إلى القاعدة التي لا تحول ولا تزول.

* وكذا الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب:

هذه قيمة عقيدة أهل السنة في حياة المؤمن. ومن ثَمّ يجب أن يستولي عليها، متمكنًا منها، واثقًا بها، لا يتلجلج فيها، ولا ينتظر عليها جزاء، فهي في ذاتها جزاء. ذلك أنها الحمى الذي يلجأ إليه، والسند الذي يستند عليه. أجل هي في ذاتها جزاء على تفتّح القلب للنور، وطلبه للهدى، ومن ثم يهبه اللّه العقيدة ليأوي إليها، ويطمئن بها. هي في ذاتها جزاء يدرك المؤمن قيمته حين يرى الحيارى الشاردين من حوله، تتجاذبهم الرياح، وتتقاذفهم الزوابع، ويستبد بهم القلق، بينما هو بعقيدته مطمئن القلب، ثابت القدم، هادئ البال، موصول باللّه، مطمئن بهذا الاتصال.

✍ انظر إلى أثر هذه العقيدة في ثبات إمام أهل السنة الإمام أحمد، ثبت ابن حنبل في محنة خلْق القرآن فثبّت اللّه بثباته الأمة بأسرها. ويذكر التاريخ بأحرف من نور، وشذا عطر أرقّ من الورود هذا الموقف الفذ لشيخ الإسلام الفذّ الطاعن في السن.. الثابت حين تزلزلت وتضعضعت الجبال الرواسي، وأعطى المجهود من نفسه.

❑ قال أبو غالب ابن بنت معاوية: ضُرِب أحمد بن حنبل بالسياط في اللّه، فقام مقام الصديقين، في العشر الأواخر من رمضان سنة عشرين ومائتين.

ودخل بعض حفّاظ الحديث بالرقة على الإمام أحمد وهو محبوس، فجعلوا يذاكرونه بما يروى في التقية من الأحاديث، فقال أحمد: وكيف تصنعون بحديث خبّاب: «**إن من كان قبلكم كان يُنشر أحدهم بالمنشار، ثم لا يصدّه ذلك عن دينه**»؟ فيئسوا منه.

قال الإمام أحمد: كنت أُصلي بأهل السجن وأنا مقيّد.. وضعوا في رجله أربعة قيود، وهو إمام أهل السنة!!

ويدخل عليه في السجن إسحاق بن إبراهيم يقول: اللَّه يا أحمد، إنها واللَّه نفسك، إنه ـ أي: الخليفة المعتصم ـ لا يقتلك بالسيف، إنه قد آلى إن لم تُجبه أن يضربك ضربًا بعد ضرب، وأن يُلقيك في موضع لا ترى فيه الشمس». وجيء إلى أحمد بدابّة، فحُمِل عليها وعليه الأقياد، وكادَ غير مرّة أن يخرّ على وجهه، لثقل القيود، فجيء به إلى دار المعتصم، وأدخلوه في حجرة، وأدخلوه إلى بيت، وأُقفل الباب عليه، وذلك في جوف الليل، وليس في البيت سراج، فلما كان الغد، أخرجوه إلى الخليفة ليناظره أحمد بن أبي دؤاد، والمعتصم يقول: واللَّه لئن أجابني لأُطلقن عنه بيدي، ولأركبنّ إليه بجندي، ولأطأن عقبه، ثم قال: يا أحمد، واللَّه إني عليك لشفيق، وإني لأشفق عليك كشفقتي على هارون ابني، ما تقول؟ فقال: أعطوني شيئًا من كتاب اللَّه عز وجل أو سنة رسوله. ومرة أخرى يقول المعتصم لأحمد: ما كنت تعرف صالحًا الرشيدي؟ قال أحمد: قد سمعت باسمه.

قال: كان مؤدبي، وكان في ذلك الموضع جالسًا ـ وأشار إلى ناحية من الدار ـ فسألته عن القرآن، فخالفني، فأمرتُ به فَوُطِئَ وسُحِب. وبعد ثلاثة أيام من المناظرة والإمام أحمد يُفحم المبتدعة، قال المعتصم:

العقابين والسياط فجيء بها.

❑ قال إبراهيم البوشنجي: ذكروا أن المعتصم رقّ في أمر أحمد، لمّا عُلِّق في العقابين، ورأى ثبوته وتصميمه، وصلابته في أمره، حتى أغراه ابن أبي دؤاد، وقال له: إنْ تركته قيل: إنك تركت مذهب المأمون، وسخِطت قوله. فهاجه ذلك على ضربه.

قال صالح: قال أبي: لمّا جيء بالسياط، نظر إليها المعتصم، فقال: ائتوني بغيرها، فأُتي بغيرها، ثم قال للجلاّدين. فجعل يتقدم الرجل إلى الإمام أحمد فيضربه سوطين، فيقول له المعتصم: شدّ قطع اللَّه يدك! ثم يتنحى، ثم يتقدم الآخر فيضربني سوطين، وهو في كل ذلك يقول لهم: شدّوا، قطع اللَّه أيديكم، فلما ضُرب تسعة عشر سوطًا، قام المعتصم إلى الإمام أحمد فقال: يا أحمد علام تقتل نفسك؟! إني واللَّه عليك شفيق. فجعل عُجيف ينخسه بقائم سيفه ويقول: أتريد أن تغلب هؤلاء كلهم؟ وجعل بعضهم يقول: ويلك! الخليفة على رأسك قائم. وجعل عبد الرحمن يقول: ويْحك يا أحمد! مَن يصنع من أصحابك في هذا الأمر ما تصنع؟! وجعل المعتصم يقول: ويحك يا أحمد! أجبني إلى شيء لك فيه أدنى فرج، حتى أُطلق عنك بيدي. فيقول الإمام أحمد: يا أمير المؤمنين! أعطوني شيئًا من كتاب اللَّه عز وجل أو سنة رسوله؛ حتى أقول به. قال: فرجع فجلس، فقال للجلاّدين: تقدّموا، فجعل الجلاّد يتقدّم ويضربه سوطين ويتنحّى، والمعتصم في خلال ذلك يقول: شُدَّ، قطع اللَّه يدك. قال الإمام أحمد: فذهب عقلي، فأفقت بعد ذلك، فإذا الأقياد قد أُطلقت عنه، فقال له رجل ممّن حضر: إننا كبْناك على وجهك، وطرحنا على ظهرك باريّة، ودُسناك، قال الإمام أحمد: فما شعرت بذلك.

قال بعض الجلاّدين الذين ضربوا الإمـام: لقد بطل أحمد الشطّار، واللَّه لقد ضـربته ضربًا، لو أُبرك لي بعـير فضربته ذلك الضـرب لنقبت عن جوفه.

وقال شاباص التائب: لقد ضربت أحـمد بن حنبل ثمانين سوطًا، لو ضربته فيلا لـهدّته، وقال محمد بن إبراهيم بن مـصعب - وهو على الشُّرَط للمعتصم: ما رأيت أحدًا لـم يداخل السلطان ولا خالط الملوك، أثبت قلبًا من أحمد يومئذ، ما نحن في عينه إلا كأمثال الذباب[1].

❑ قال إسحاق بن راهَوَيْه: لولا أحمد بن حنبل وبذل نفسه لما بذلها له، لذهب الإسلام.

❑ وللَّه درّ مـصطفى صـادق الرافعي وهـو يقول عن ثـبات الإمام أحمد: كـنتُ لا أزال أعجبُ مـن صبر شيـخنا أحمـد بن حنبـل، وقد ضُرب بين يدي المعتصم بالسياط حتى غُشي عليه، فلم يتحول عن رأيه، فعلمت الآن أنه لـم يجعل في نفسه للضرب مـعنى الضرب، ولا عرف للصبر معـنى الصبر الآدمي، ولو هو صبر على هـذا صبر الإنسان لجزع وتحوّل، ولو ضُرب ضرْب الإنسـان لتألّم وتغيّر، ولكنه وضـع في نفسه معنى ثبات السـنة وبقاء الدين، وأنه هو الأمة كلها لا أحـمد بن حنبل، فلو تحـوّل لتحوّل الـناس، ولو ابتـدع لابتدعوا، فـكان صبره صـبر أمة كاملة، لا صَبْر فرد، وكان يُضرب بالسـياط ونفسه فوق معنى الضرب، فلو قرضوه بالمقاريض، ونشروه بالمناشـير، لما نالوا منه شيئًا، إذْ لم يكن جسمه إلا ثوبًا عليه، وكان الرجل هو الفكر ليس غير.

---

(١) «مناقب الإمام أحمد» ص(٤٠٥ ـ ٤٠٧).

هؤلاء قوم لا يرون فضائلهم فضائل، ولكنهم يرونها أمانات قد ائتمنوا عليها من اللَّه، لتبقى بهم معانيها في هذه الدنيا، فهم يُزرعون في الأمم زرعًا بيد اللَّه، ولا يملك الزرع غير طبيعته، وما كان المعتصم - وهو يريد شيخنا على غير رأيه وعقيدته - إلا كالأحمق، يقول لشجرة التفّاح: أثمري غير التفّاح».

* وانظر رحمك اللَّه إلى الإمام البويطي صاحب الشافعي وتلميذه: لما سعى به أصحاب ابن أبي دؤاد، حتى كتب فيه ابن أبي دؤاد إلى والي مصر، فامتحنه - أي في محنة خلق القرآن - فلم يُجب، وكان الوالي حسن الرأي فيه، فقال له: قل فيما بيني وبينك. قال: إنه يقتدي بي مائة ألف، ولا يدرون المعنى!! فأمر به أن يُحمل إلى بغداد.

❑ قال الربيع بن سليمان: رأيته على بغل في عنقه غُلّ، وفي رجليه قيد، وبينه وبين الغلّ سلسلة فيها لبنة - طوبة - وزنها أربعون رطلاً، وهو يقول: إنما خلق اللَّه الخلق بـ «كن»، فإذا كانت مخلوقة فكأن مخلوقًا خُلِق بمخلوق، ولئن دخلتُ عليه لأصْدُقنّه - يعني الواثق - ولأموتن في حديدي هذا حتى يأتي قوم يعلمون أنه قد مات في هذا الشأن قوم في حديدهم»[1].

* والإمام نعيم بن حماد:

كان - رحمه اللَّه - شديدًا في الرد على الجهمية، حُمِل إلى العراق في إبّان تلك الغيمة مع البويطي مقيدَين.

❑ قال ابن يونس: حُمل على القول بتلك الفِرية، فامتنع أن

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٢/ ٥٨).

يُجيب، فسُجِن، ومات في سجنه سنه تسع وعشرين ومائتين، وجُرّ بأقياده، فأُلقي في حفرة، ولم يُكفّن ولم يصلّ عليه، وأوصى نُعيم بن حماد أن يدفن في قيوده. وقال: «إني مخاصم»[1].

* وأبو نعيم الفضل بن دُكين شيخ الإمام أحمد جبل شامخ في الثبات:

❑ قال أبو نعيم للوالي ـ لما امتحنه في خلق القرآن ـ: «أدركت الكوفة، وبها أكثر من سبعمائة شيخ ـ الأعمش فمَن دونه يقولون: القرآن كلام اللَّه. وعنقي أهون من زِرِّي هذا. فقام إليه أحمد بن يونس، فقبّل رأسه ـ وكان بينهما شحناء ـ وقال: جزاك اللَّه من شيخ خيرًا»[2].

* وشيخ الإسلام الهروي طود راسي في السنّة:

❑ قال الذهبي في «السير»: «كان شيخ الإسلام الهروي طودًا راسيًا في السنّة، لا يتزلزل ولا يلين، وقد امتُحن مرات، وأُوذي، ونُفي من بلده.

❑ قال ابن طاهر: سمعته يقول: عُرِضتُ على السيف خمس مرّات، لا يقال لي: ارجع عن مذهبك. لكن يُقال لي: اسكت عمّن خالفك، فأقول: لا أسكت»[3].

٤ ـ تدبّر القرآن والإقبال عليه:

«نصّ اللَّه على أن الغاية التي من أجلها أُنزل هذا القرآن منجمًا

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٦١٠).

(٢) «السير» (١٠/ ١٤٩)، و«مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي ص(٤٨١).

(٣) «السير» (١٨/ ٥٠٩).

مفصّلاً هي التثبيت، فقال تعالى في معرض الرد على شُبه الكفار: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[1] [الفرقان: ٣٢ ـ ٣٣].

* القرآن ودوره العظيم في تثبيت الإيمان في النفس:

✍ القرآن يذكّر دائمًا بعظمة اللَّه التي لا تُحدّ، وآيات قدرته في الآفاق والأنفس، حتى يخشع القلب ويستسلم للَّه.

✍ ويذكّر دائمًا أن اللَّه مع الإنسان يراقبه ويحصي عليه أعماله، ثم يحاسبه عليها يوم القيامة، حتى تصبح تقوى اللَّه جزءًا لا يتجزأ من مشاعر القلب، وركيزة ثابتة في الضمير.

✍ وكذلك يوجه القرآن القلب البشري إلى ذكر اللَّه دائمًا في حالة السرّاء والضراء.

✍ يورد القرآن القصص التي تثبّت الإيمان، قصص الأنبياء وأتباعهم من المؤمنين الذين صبروا على الأذى حتى جاءهم نصر اللَّه، وقصص الكفار الذين كَذّبوا وعاندوا حتى دمّر اللَّه عليهم بكفرهم.

✍ وأخيرًا يرسم القرآن صورة محببة للمؤمنين وصفاتهم، وما ينتظرهم من الجزاء في الآخرة، وصورًا كريهة منفّرة للكافرين وصفاتهم وسوء منقلبهم ومآلهم يظل القرآن يكرّر هذه التوجيهات حتى ترسخ في النفس، وحتى يصبح اللَّه حاضرًا في القلب لا يغفل الإنسان عن ذكره،

(١) «وسائل الثبات على دين اللَّه» للشيخ محمد صالح المنجد ص(٨).